الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللّغوية والأدبية

الشعر الملحون في منطقة مستغانم
"جمع ودراسة"

مذكرة تخرج لاستكمال متطلبات شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
نور الهناء حمودي

إشراف الأستاذة الدكتورة:
طانية حطاب

السنة الجامعية: 2024-2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللّغوية والأدبية

الشعر الملحون في منطقة مستغانم
"جمع ودراسة"

مذكرة تخرج لاستكمال متطلبات شهادة الماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
نور الهناء حمودي

إشراف الأستاذة الدكتورة:
طانية حطاب

السنة الجامعية: 2024-2023

شكـــر وعـــرفان

عملا بقول خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم:**{من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه؛ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه}.**

وبقوله عليه الصلاة والسلام: **{من لا يشكر الناس لا يشكر الله}.**

يطيب لي أن أتوجه بالشكر العميم وخالص الامتنان للأستاذة الدكتورة الفاضلة طانية حطاب التي قبلت الإشراف على هذا العمل، وعلى حسن تأطيرها وجميل صبرها وسديد نصحها، منذ أن كنت في الليسانس وإلى اليوم. أدام الله عزها، وجعلها ذخرا لأهلها، وللجامعة الجزائرية، وجعلها في خدمة العلم والثقافة.

كما يسعدني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرّين، على قَبولهم مناقشة هذا العمل العلمي. ولأساتذة قسم الدراسات اللغوية والأدبية بجامعة عبد الحميد بن باديس على مرافقتنا في مشوارنا العلمي، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الإهـــــــــداء:

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير وإلى سبب الوجود والفلاح في الدنيا والآخرة

إلى قدوتي وصاحب البصمة الصادقة في حياتي مصدر العزم والإرادة "أبي الغالي أطال الله عمره".

إلى من وضعتني على طريق الحياة، ومن كان لها بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب، وإلى الروح التي علمتني كيف يكون الصبر طريقاً للنجاح ورافقتني دعواتها طوال عمري "أمي الحبيبة حفظها البارئ."

إلى سنـــدي ورفيق الكفاح والظروف الصعبة الذي لم يبخل بوقت أو جهد لإعانتي زوجـــي الغالـــي" عـــدة."

وإلى رفيق البيت الطاهر والسند الذي لا يمِّل ولا يُمل" أخي الحبيب وفقه الله وسدد خطاه "

وإلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمـــــــــــة:

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, أما بعد:

يعدّ الشعر الملحون الجزائري من أهم فنون التراث الشعبي, يصوّر واقع الأمم، وينقل يوميات أفرادها، ينظمه شعراء من عام القوم، يعيشون آلام شعوبهم وآمالها. يصدر عن نفس صادقة، وينبع من عاطفة جياشة. ولذلك حظي باهتمام الباحثين الأكاديميين، كما عني به عامة الدارسين، شأنه في ذلك شأن الشعر الفصيح الرسمي.

فشاعر الملحون أصبح يتناول قضايا ومواضيع مستمدة من واقع مجتمعه وجوهر ما يحتويه, فما يكتبه الشاعر لا ينبثق إلا عن عمق محيطه وتجارب بيئته وأفكار ومشاعر أقرانه, ورغم تعدد المناطق واختلاف البيئات فإن طريقة تجلي الشعر الملحون ثابتة والمغزى منه موحد.

ولما كان الشعر الشعبي الجزائري عامة والمستغانمي خاصة جزءا من التراث الشعبي، ويحوي كنوزا معرفية وتاريخية، استوجب منا حمايته من الضياع، وإخراجه إلى النور، بجمعه وتدوينه وتحقيقه ونشره وتعميمه. والدعوة إلى الالتفات إليه، ونفض الغبار عنه، وإعادة بعثه وتكريسه في الدراسات الأكاديمية. وإنشاء مخابر بحث تعنى به وبمضامينه والوعي بالدور الذي يلعبه في التأريخ لماضي ومستقبل الأمة، لئلا تخطف المنية أصحابه، ولاسيما ممن بلغوا من الكبر عتيا، فإمّا النسيان وإمّا الموت.

لذلك كله، وإيمانا منا بأن العناية بهذا التراث في منطقتنا أصبح واجبا ثقافيا ووطنيا، من منطلق أن يمثّل هويتنا والذاكرة التي تستوعب تاريخ أمتنا. وبتحفيز من أبينا الدكتور حمودي محمد الذي ما انفك يحدثنا عنه بوصفه مشروعا يخدم الأمة المستغانمية خصوصا والجزائرية عموما، بادرنا بمعيته بالاتصال بالشعراء المعنيين ممن تحمسوا للفكرة، ومما زادنا تحفيزا وعزما على المضي في البحث فيه، إصرار الشاعر والأستاذ الحاج باينين مساعدتنا في جمع القصائد الشعرية بعد الاتصال بالشعراء ممن راقت لهم الفكرة. فولاية مستغانم عرفت كوكبة من الشعراء لم تخلوا دواوينهم من الكتابة عن حال المجتمع ورسم صورته, ناهيك عن سعيهم إلى إرشاد الشباب والتعريف بمدينتهم مدينة "مجاهر"- كما يطلق عليها - لمختلف الأجيال.

ولعلّ من بواعث البحث في هذا الموضوع، الرغبة في حماية تراث مدينتي مستغانم الشعري من الاضمحلال، ولاسيما بعد أن فقد الساحة الشعرية المستغانمية أحد شعرائها، وهو الشاعر عبد الرحمن صلاي، دون أن يتمكن أي باحث من جمع أشعاره وطبعها في ديوان ينضاف إلى تراث المنطقة. ثم قلة البحوث التي تسلط الضوء على التراث الشعري للمنطقة.

وإذا استدعى الأمر الحديث عن الدراسات السابقة، فهي كالآتي:

- عبد الحميد بورايو، "في الثقافة الشعبية الجزائرية(التاريخ والقضايا والتجليات).

- أمينة فزازي، "الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة".

- نبيلة سنجاق "مناهج دراسات الأدب الشعبي".

- مساعد نوال في كتاب (البنية الفنية للشعر الملحون في منطقة سيدي عامر الشاعر أحمد وليد بن القبي

ومن الأهداف التي توخينا تحقيقها، الوقوف على واقع الشعر الشعبي بمنطقة مستغانم، ومدى اهتمام أهل المنطقة به، ولا سيما وأن المدينة ولادة لشعراء الملحون، منذ الرعيل الأول ومؤسسه سيدي لخضر بن خلوف وتلامذته ممن جاء بعده، أو مع شعراء الرعيل الثاني:(خالد شهلال، البشير التهامي، حاج باينين، عبد القادر عرابي..). وزيادة على عملية جمع النصوص. يقتضي الحال العمل على إبراز خصائصها الفنية. الشعر الملحون في مستغانم

ولتحقيق هذه الأهداف سطرنا خطة تقوم على:

مقدمة وفصلين:

تناولنا في الفصل الأول: الشعر الملحون(النشأة والمميزات)وبعض شعرائه في مستغانم، وأغراض شعرهم.

وأمّا الفصل الثاني؛ فكان عبارة عن دراسة أسلوبية، عالجنا فيها ثلاثة نقاط، هي:

1- المعجم الشعري، بتحديد الحقول الدلالية للنصوص. 2- الرمز، 3- التناص

ونشير إلى أننا استخدمنا المنهج التاريخي في حصر ظاهرة الشعر الملحون بمستغانم، وعولنا على المنهج الأسلوبي في مقاربة أشعار الحاج باينين، للكشف عن بنيتها، ومواطن الجمال فيها.

على أننا أبرزنا في الخاتمة أهم النتائج المتوصّل إليها في هذا البحث.

الفصل الأول:

الشعر الملحون في مستغانم

الشعراء وأغراض شعرهم

1- مفهوم الشعر الملحون:

أ- الملحون في اللغة:

يعد الملحون لغة شعرية يغلب عليها التلميح والرمزية وتكثيف المعاني كما تسودها الموسيقى في تصويرها الشعر الشعبي المغنى, وعموما يقصد بلفظة "لحن" النطق بلسان خاص, حتى لا يسع الغير فهمه أو التحكم في معانيه, هذا ما جعل من الملحون كلاما بليغا أخصب الأحاسيس والدفقات الشعورية من جهة, ومن جهة أخرى حسن الإيقاع والطرب للآخر, و قد قال حول هذا خير الأنام النبي صلى الله عليه وسلم:(إنكم تختصون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن من بعض): أي أفطن بها وأجدل[1]

أما في المعجم الوسيط فقد جاء: لحن في كلامه لحنا, أخطأ الاعراب وخالف وجه الصواب في النحو ويقال لحن باللحن بني فلان: أي تكلم بلغته ولحن في قراءته طرب فيها وغرد بألحان والأغنية: وضع صوتا لها موسيقيا مناسبا تغنى به).[2]

ولحن يلحن احنا, واللحن بفتح الحاء "الفطنة" ورجل لحن: إذا كان فطنا.[3]

ب- الشعر الملحون اصطلاحا:

الشعر الملحون كمصطلح هو ما يطلق على:(كل كلام منظوم في قالب شعري ضمن بيئة شعبية بلهجة غير فصحى عامية تحوي نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانته, متوارثا جيلا عن جيل عن طريق المشافهة بالتواتر, فقد يكون قائله أميا وقد يكون قائله متعلما بصورة أو بأخرى كالتلقي).[4]

والمفهوم الذي أنشأه عبد الحميد بورايو حول شعر الملحون ويعرفه انطلاقا منه هو في قوله:(الشعر الشعبي يوسم عادة بالجمعية, يتناقل شفاها ويكون مجهول المؤلف يرتبط إنشاده وارتجاله بالمناسبات الاحتفالية يفقد وظيفته عندما تحدث تغيرات هامة في المجتمع فيصبح فلكلورا).[5]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب, دار الصادر, بيروت لبنان, ط1, 1994 مادة(لحن).
[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون, المعجم الوسيط, ج1, المكتبة الاسلامية, اسطنبول تركيا, ص 820-819
[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي, معجم العين, تح: عبد الحميد الهنداوي, ج4, د.ط, الكتب العلمية, بيروت لبنان, ص 88
[4]- عبد الكريم قذيفة، من تحول الشعر الشعبي الجزائري" أنطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة_ الشعراء الرواد_" دار الأخبار للصحافة, ط2 القبة الجزائر العاصمة,2007. ص 13.
[5]- عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية(التاريخ والقضايا والتجليات), دار فيسيرا,(د,ط),(د.ب), 2009, ص18

وعليه، فإنه من تجليات ما رآه بورايو في الشعر الملحون نرصد الارتباط الوثيق بينه وبين المجتمع والمحيط واحتمال مآله فلكلوراً, ومرورا بفكرة محمد عبد الحليم طوبال عن الشعر الملحون, نجد عبد الحليم يعتبره: فناً من الفنون الأدبية يلوح بجذوره في عمق التاريخ عبر العصور يعبر به الناظم عن حالة فردية كوسيلة تعبير بلهجة محلية لإثبات هوية ما.[6]

وتأسيسا على ما سبق، نخلص إلى أن الشعر الملحون حاضر في مختلف ثقافات الشعوب العربية باختلاف لهجاتهم.

2- نشأة الشعر الملحون:

يمكن التأصيل لهذا النوع من الأدب من خلال الموضوعات التي عالجها الشعراء, في مختلف الحقب التاريخية. فمنها ما تعلق بالحياة السياسية أو الاجتماعية وحتى الكوارث والملمات, ومنها ما عبر عن آلام وآمال الشعوب.[7]

على أننا نجد العربي دحو:(له رأي آخر من خلال ثلاثة قصائد وجدت قبل الفتح الإسلامي معتبرا أصولها نابعة من الشعر الأوروبي, بينما يرى صنف آخر أن القصيدة الشعبية ظهرت مع الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا, وفي المقابل فإن هناك رأيا آخر أيضا يقر أصحابه بالإسهام الواضح للزحف الهلالي في نشأة الشعر الملحون متخذين هذا الأخير ثمرة من ثمار الحملة الهلالية على الجزائر).[8]

فضلا عن رأي آخر لا يمكننا إغفاله يعتقد بوجود شعر شعبي سابق للتغريبة الهلالية تم تهميشه نظرا لقلة الثقافة وتغير المعتقدات بعد الفتح الإسلامي, ناهيك عن من ذهب إلى أبعد

من ذلك بالقول:(إن القصيدة الشعبية الجزائرية الملحونة كانت قبل الاحتلال الروماني بلهجة وحشية غير مفهومة حسب العالم الفرنسي جوزيف ديبرمي).[9]

ويذهب عبد الحميد بورايو مع هذا الرأي مؤكدا إياه من خلال اعتباره أن(أصول الشعر الشعبي الجزائري تعود إلى الأشعار الأمازيغية فهي المنبع الأصلي لها)[10] , كما يشير التلي بن الشيخ إلى فرضية تأييد هذا الرأي فيقول:(... بينما لن نعثر على نصوص من الشعر الشعبي

---

[6]- نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة, الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين, (د.ط), (د.ب) 2009, ص64

[7]- ينظر: عبد الحميد بورايو, في الثقافة الشعبية الجزائرية, المرجع السابق, ص36

[8]- العربي دحو، مقاربات في الشعر العربي في الجزائر, موفم للنشر, الجزائر العاصمة, الجزائر, 2007, ص27

[9]- يوسف العارفي, الشعر الشعبي في منطقة صور الغزلان, رسالة ماجستير، جامعة تيزوزو، 2012

[10]- عبد الحميد بورايو, الأدب الشعبي الجزائري, دار القصبة للنشر, الجزائر, د.ط, 2007, ص20.

سابقة لهجرة القبائل, لا بد أن يكون لهذه الظاهرة أسبابها وعواملها, وما نستطيع أن نقوله في هذا المجال مجرد لا تعبر عن الحقيقة بصورة قطعية ومع هذا تبقى هذه الاحتمالات واردة)[11]

3- مميزات الشعر الملحون الجزائري:

للشعر الملحون مميزات جمة تفرقه عن باقي أشكال التعبير الأخرى وتجعل منه نوعا فريدا يختص بهيكل مختلف عنهم, وتتمثل هاته المميزات فيما يلي:

- التداول الشفوي والتوارث جيلا عن جيل يدون.

- لغته هي اللهجة الشعبية المشتركة المتداولة بين الشعب والتي يفهمها أفراده أو الجماعة الشعبية ويمكن نعتها باللهجة العامية التي تخص وترتبط بفئة أو جماعة شعبية بعينها.

- الرواية الشفوية دون الكتابية التي يتكفل بها على الأغلب سلسلة طويلة من الرواة الشعبيين والمعروفين بلقب" المداحين"

- من حيث الأسلوب, يتميز ببساطة الألفاظ والعبارات ووضوح المعاني, وثرائه بالبديع والبيان من خلال حسن التشبيه ووجود الكناية وكثرة الاستعارات إضافة إلى تخلله التصريع والطباق والتورية والجناس, برغم اللهجة العامية التي يحاكى بها الشعر والصعبة تجسيد ذلك

- النزوح إلى زخرفة القول وتنميقه وكثرة التفنن والابتكار في المعاني والمبالغة البديعية في الكلام[12]

- الطابع الشعري: يولد الشعر الملحون من رحم الواقع الشعبي الاجتماعي وهو صورة طبق الأصل لتوجهه الفكري والديني والسياسي و الأخلاقي, فهو يجسده ويعبر عنه ويعكسه بدقة, حيث يستمد مضمونه ويستوحي صوره من عمق وصلب وأساس المجتمع فلغته لا تخرج عن إطار الطابع الشعبي فتمثله أحسن تمثيل.[13]

4- السيرة الذاتية لشعراء الملحون في مستغانم:

تزخر ولاية مسك الغنائم "التسمية الأصلية لولاية مستغانم" أجدوا الملحون وأبانوا عن

[11]- التلي بن الشيخ, منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1999, ص23-24.
[12]- أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي, دار الكتاب الحديث, القاهرة مصر, ط1, 2010, ص135.
[13]- نفسه، ص137.

براعة منقطعة النظير في تجسيده, وذلك نظرا لطابع الولاية التاريخي ومكانها الاستراتيجي الشاهد على عديد الأحداث المهمة الذي جعل من شعرائها ينظمون تحفا من الشعر بأسلوب يجمع بين الإبداع والإمتاع والإقناع, بداية مما نثره الشاعر " لخضر بن خلوف" من سحر إلى ما يخلفه شعرائنا المعاصرون من أعمال والذين نعرف منهم:

1/1: الشاعر خاد شهلال

الاسم واللقب: خالد شهلال

تاريخ ومكان الازدياد: 22سبتمبر 1960 بمستغانم

المستوى والوظيفة: متقاعد, بكالوريا1980 آداب

الإقامة الحالية: ولاية مستغانم

البدايات الشعرية:1979

الأغراض الشعرية: كل الأغراض.

الملتقيات والمهرجانات: - معظم المهرجانات المحلية والوطنية منذ سنة 2008

- مرتين في المهرجان المغاربي والمهرجان الدولي في مكناس

الأسابيع الثقافية: بجاية, بسكرة.

الإذاعات: - إذاعة البهجة "مرتين".

- الإذاعة الوطنية "مرة واحدة".

- إذاعة فاس مكناس سنة 2013.

المجلدات والجرائد: جزائرية ودولية.

المواقع الإلكترونية والمنتديات: صفحة خاصة على منصة فيسبوك.

البرامج التلفزيونية: - ليلة الشعراء.

- حصة خاصة بتكريم "معزوز بوعجاج" كضيف شرف.[14]

إضافة إلى العديد من الإنجازات الأخرى غير الموثقة للشاعر القدير خالد شهلال ومن ذلك تنشيطه لعدة أمسيات شعرية بمنطقته.

2/1 الشاعر عرابي عبد القادر:

الاسم واللقب: عرابي عبد القادر.

تاريخ ومكان الازدياد: 18أوت 1952.

المستوى والوظيفة: متقاعد.

الإقامة الحالية: دائرة عين تادلس ولاية مستغانم.

البدايات الشعرية: 1980

الأغراض الشعرية: الشعر الثوري, الشعر الاجتماعي, شعر الحكمة, شعر الغزل.

الملتقيات والمهرجانات: - معظم المهرجانات المحلية والوطنية.

- الملتقى العربي بالجزائر العاصمة.

الأسابيع الثقافية: غرداية, مسيلة, بجاية, سطيف, خنشلة, بشار, تيندوف.

الإذاعات: - إذاعة العاصمة, سطيف, خنشلة, بشار, أدرار.

- إذاعة تيندوف, غرداية, ورقلة, وهران, الظهرة.

المجلات والجرائد: بعض الجرائد اليومية والثقافية والمحلية.

المواقع الإلكترونية والمنتديات: صفحة خاصة على منصة فيسبوك.

البرامج التلفزيونية: - عين بلادي - ليلة الشعراء - أخي السامع ومشاركات أخرى - هدية مستغانم من طرف الرئيس على قصيدة " اشهد يا تاريخ".[15]

[14] - سيرة الرجل أمدنا بها صديقه حاج باينين.
[15] - سيرة الرجل أمدنا بها صديقه حاج بينيين.

3/1 الشاعر بن عبد القادر تواتي:

يعد بن عبد القادر تواتي أحد أعمدة الشعر الملحون في مستغانم لذلك، فهو يحظى بمكانة خاصة بين شعرائها. ولد في 12 نوفمبر 1937 بدائرة عين تادلس فرع الشلالية ولاية مستغانم, له خمسة أبناء وعدة أحفاد, وهو من حفظة كتاب الله تعلمه على يد والده "الحاج بن ذهيبة" رحمه الله, إضافة إلى عدة مشايخ رحمهم الله عليهم من بينهم " العالي سي أحمد ولد الطاهر" من قرية سيدي عمر والإمام الفاضل "الشيخ سي محمد بلال" من بلدية "كريشتل".

يعرف الشاعر عبد القادر بشاعريته وفروسيته, وقد بدأ مشواره الفني في كتابة الشعر في الخمسينيات وهو شاب فتي كغيره بمحاولات عابرة في الغزل؛ تأثر بعدة شعراء كان مولعا بحذو حذوهم أمثال: "الخالدي, بن قنون مصطفى, بن براهيم بوعلام, بالطيب بن عودة, بن قاضي الحاج, دحمان بوطرفة" رحمهم الله, وقد نهل منهم العديد من القصائد جاعلا منها أفاق طريقه نحو الشعر فهو يقول: "من أراد أن يتعلم كتابة الشعر فليقرأ على الآخرين"

أما عن الشعراء الذين عاصرهم وتأسى بهم: عبد القادر بزحاف من الشرفة ومحمد بن يوسف من منداس، محمد بن عمور من ماسرة، بالزيتوني من بلدية الطواهرية، الشيخ الناصر من الحشم، الحاج بخيرة، والشيخ الجيلالي عين تادلس وأيضا الشيخ الجيلالي بن صبان. الشاعر بن عبد القادر تواتي هو شاعر متحمس يفرح لفرحة الجزائر ويحزن لحزن الجزائر, فهو كما نعرف في الأدب شاعر ملتزم كتب عن الثورة المجيدة وعن حب الوطن وشدد على الأصالة والعروبة, هاجر إلى فرنسا سنة 1971 أين عرف هناك جملة من الشعراء المغاربة الذين كتبوا عن الغربة, ليعود بعد ذلك إلى الجزائر الأم سنة 1979 وتفضي قريحته الشعرية بعدة قصائد عن الجزائر أشهرهم (يا الجزائر يا البيضة رمز الأم).

كما يجدر بنا الذكر، أن تواتي كتب في الشعر الاجتماعي الذي أخذ حصة الأسد من دواوينه، فكان علامة يتميز بها عن نظرائه من الشعراء. ومن قصائده: (هات يدي ليدي يا صاحب المحبة). كما تناول قضايا أخرى أبدع فيها كحب الوطن والصداقة والوئام والمصالحة.

الشاعر بن عبد القادر تواتي معروف لدى جميع شعراء الوطن بمشاركته البارزة في العديد من المهرجانات والمنتديات التي نال فيها عدة تكريمات. وعرف عنه المحافظة على اللباس العربي الجزائري الأصيل الذي جال به رحمه الله كل أرجاء التراب الوطني ممثلا ولاية مستغانم أحسن تمثيل. وقد تتلمذ عليه كثير من الشعراء سطع نجمهم في الساحة الفنية

كالشاعر عبد القادر عرابي الذي يعتز ويتشرف بالتتلمذ لدى واحد من خيرة أبناء الجزائر وأبنائها المحبين "عبد القادر تواتي".[16]

4/1 الشاعر حاج بينين:

الاسم واللقب: بينين حاج

تاريخ ومكان الازدياد:20 سبتمبر 1975 بحجاج.

المهنة: أستاذ مادة اللغة العربية -تعليم متوسط

العنوان: سيدي بلعطار ولاية مستغانم.

البدايات الشعرية: سنة 2009

أهم المشاركات:

1- المحلية: • مهرجان عين تادلس بطبعتيه

• مهرجان المهدي لسيدي لخضر مستغانم في كل الطبعات بصيغته الجديدة

2- الوطنية: •مهرجان سور الغزلان بالبويرة

• مهرجان أدرار

• مهرجان ولاية البيض

3- الأسابيع الثقافية ممثلا لولاية مستغانم: المسيلة, أدرار, تندوف, جيجل.

4- الحصص التلفزيونية: ليلة الشعراء للتلفزيون الجزائري، حكمة ونغمة، دزاير نيوز.

5- الحصص الإذاعية: حصص لأكثر من عشر إذاعات محلية مثل حصة قعدة وقصيد لإذاعة الظهرة.

الدواوين: لا توجد بعد. ناهيك عن نشره لبعض التغطيات الخاصة في الجرائد.[17]

[16]- تم اقتباس سيرته الذاتية من إحدى مهرجانات مستغانم المحلية التي أقيمت تخليدا لذكرى وفاته.
[17]- مخطوط سيرة ذاتية أمدنا به صاحبها.

أغراض الشعر الملحون في مستغانم ونماذجها الشعرية:

1- شعر الثورة:

يعتبر غرض الثورة علامة فارقة في الشعر الملحون الجزائري نظرا لمرجعيته التاريخية والوطنية, وقد نال حظا وافرا وقسطا معتبرا من عناية الشعراء واهتمامهم بالشعر، فلم ينظم شاعر قصيدة في إطار الشعر الملحون إلا وكتب فيه, طارحا من خلاله القضية الوطنية الجزائرية من بوابة الروح الإنسانية العميقة, كرسالة تحدٍ صريحة لقوى الشر الاستعمارية الفرنسية التي هتكت أدنى مقومات الإنسانية لدى الشعب الجزائري, لذلك كان الشعر الملحون أثناء المعاناة الجزائرية ملاذاً للمقاومة، وملهماً للأنفس ومحركاً لها, ورافع همة أبطال الجزائر وناصرا لها, فكان شعر تحرريا خلده التاريخ متأبيا الذل والهوان ورمزا للكرامة الجزائرية, فيما ظل بعد انتصار الجزائر واستقلالها متمسكا بالثورة الجزائرية ومكتسٍ ثوب الملحمية, فما انفك يلقن مستمعيه ويعيد عليهم مشاهد الأحداث التي عاشها الثوار وما مروا عليه من ظروف في صور شعرية تعلوها الكثير من الواقعية والمحاكاة الصادقة, وكان ذلك عبر شعراء المقاومة المخضرمين الذين نقلوا ما بجعبتهم لشعراء الجيل المعاصر, الذين صقلوا تلك المجازر في الواقع الحي للمجتمع, من خلال النظر لتعسف الاستعمار الغاشم في استعمال القوة المفرطة لقهر الشعب الجزائري والتأسف على هاته المأساة, بل وحتى بالدعاء أحيانا على "الكافر الفرنسي" علاوة عن البكائيات على الأمجاد, ومن زاوية أخرى نجد أن الشعر الملحون ذو الغرض الثوري لم يتوان عما كان قبل الثورة وقبل الاحتلال الفرنسي, بل سلط الضوء أيضا على ماضي الفتوحات الإسلامية والنصر المؤزر الذي صنعه المسلمون آنذاك, وقد قاموا بنسج علاقة بينه وبين المستقبل في إشارة إلى القائم على أسس قيامه, وعند الغوص أكثر في أعماق الشعر الثوري, نجده أنه لم يكتفي فقط بالاحتفاء بالأمجاد أو الدعوة إلى التحرر, بل إنه اتصل بمواضيع أخرى من خلال تناول جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب, والتغني بمعالم الثقافة القومية ومقت الثقافة الأجنبية التي كادت أن تفرض على الشعب الجزائري فكرا وسلوكا ووطنا, دون أن نغض الطرف عن بعض القصائد التي نظمت تعظيما للدور الذي قاده الثوار في إعلاء راية الجزائر كقصيدة "العربي قايد القوات" وقصيدة "عبد المالك الصنديد"، والتي قاموا أيضا من خلالها بتعزيز أهمية النزعة في بناء مجد الجزائر.

هذا ما جسده شعراء الجزائر عموما واستلمه شعراء مستغانم خصوصا, من خلال حملهم لمشعل الإبداع في القصائد الثورية, حيث تقلدوا الغرض الثوري بشغف حتى ساد الاعتقاد في المجتمع المستغانمي أن شعراء المنطقة لا يكتبون إلا عن الثورة, حيث كان الشعراء مولعين

بأمجاد المجاهدين والشهداء والقيم والحقائق التي أثبتوها, فانساقوا إلى تخليد ذلك ومحاولة إنصاف تضحياتهم ولو بالشيء القليل.

ومن بين القصائد العديدة التي اعتمدت الشعر الثوري نجد: ما قاله الشاعر **عرابي عبد القادر:**

يا شهيـــد

أرجـــــــــــع يا شهيـــــد لنا لو مـرة وحدثـنا بحديـث يريـح الخاطر

وذكرنا بأحبـاب راحـــــــــوا يا حسرة وخبرنا على أبطال ثورة نوفمبـر

وغرس فينا حبهم غـرس البـذرة وخـلـيـها فيـنا العفـــة تتكـاثـر

وخليـــها تقـوى النخـوة والنعـرة وخـلـيـها الأخبـار عنـــا تتـــواتـر

وما يقلقـنا حديث خـــاوي لا هذرة مـا دام حـب الوطـــن فينـا يكبـــر

نفتـخـر ونقـول وطـني بالـجهـرة والواجـب مـحـال عنـه نتـــأخـر

الأهـم تكـون ذا الـــخلـفة شـجـرة وتـظلل بظلالـهـا في هـذا البـــر

وكـل فـــروع أغصانها يعطوا ثمرة وكـــل ثمـرة ثمـــارهـــا ثمـرة يثمر

ونرجـع كيـف زمـان تـجمعنا أسرة إذا أشـتكـى عـــضو كامـل نـتـضـرر

ذاك اليوم تزول من الوجه الكشـــرة ونتبـــسم ونقـــول للحـــزن أنـــدحر

رغـم حـنـــا عشنـــا الطفولة مـرة وكل حـلو مـــرار والحـــزن أتـــزر

ولـبسنـا ذا الثـوب في سـن البكـرة وتعـلمـنـــا صغـــار كيـف نصطبر

وسنبـقى صامدين كـطود الصـخرة مـــا يرتـــج بريـــاح ولا يـتـــأثـر

ومـــا نرضـــى بالـــذل ولا بالقـــــــذرة وعهـدا نبـــق أشراف حتـــى نندثر

وعزك يا شهيد عـز مـن الشهـــــرة وكـــل العـز أنـت العـــز الموقر

وقدرك يبقى فوق عترة عن عتـــــــرة وستبـقـى الأجـيـال بـكم تفـتـخر

أمـا رد الجمـيـل ما لـنـا قـــــــدرة جـمـيلك جـمـيل رده مـا نـقـدر

ليس رد الجميل نحي لك سهرة ونبـدع فيـها فـنون نرقص ونزمر

ما نهـتم صحيح ما نـأخـذ عبـــــــرة ولا نعـــتـر بـــالأبـطال ولا نتفكر

كـيـف ننسى أبـطـال صناع الثـــــــورة وكيف ننـــسـى رجال وقفوا يوم الفر

يـوم كـنا نـخاف مـن حس الشخرة ويـوم كان الخوف في الذهن مصور

نـتـخيل نوبات مـن لا شيئ ذعره ونتحسس وتـبـات الأعـصاب موتر

أتـمعـن وشوف جيد ذا الـصورة واسـتخـلـص منـها العـبـر وأعتبر

كـم واحد كـان عابـس على الجمرة ومـــا يـقـدر يـقـول آه ولا يـهدر

وكـم مـن شـهـم تهـــان وتعـرى مكرة وتـعـذب قـدام أهـلـــه وتـــجـرجـر

وكـم من واحـد مـــن بـيـن الآســـرة لـولا خـوف الـلـه لـكـان انـتـحـر

وكـم مـن واحد مـا حمل ذنب الـكفـــرة ونفذ صبره راح مـن ذا الـوطـن هجر

وكـم مـن واحـــد ما عـرفنا لـه وقبره لـهـذا الـيـوم مـا زال مـودر

وكـم مـن واحد مات برصاص الغدرة وخـل بـعده أيـتـام والشـمل تبـعثر

وكـم وكـم أيـتـام مـا شـبـعـوا كسرة جاعـوا وتـعـروا وتـغـنـوا قـصـر

وكم من قرى خلت ردها قفرة وحاطوها بالألغام ما تركوا معبر[18]

تحمل هاته القصيدة في طياتها وثنياها روحا ثورية محضة، تبرز لنا مدى افتخار الجزائريين بثورتهم المجيدة وإدراكهم المطلق بعظمة الثورة وشهداء الوطن، فعنوان القصيدة الذي اتخذه الشاعر أبرز دليل على ذلك.

اشهد يا تاريخ عنا وتكلم

أشهد يا تاريخ عنا وتكلم واحكي للأجيال فينا ماذا صار

حدثنا بوضوح وشرح وفهم وخلي ذا التاريخ يرسخ في الافكار

نكتبه بمداد دمعتنا والدم وننقشه في القلوب كنقش الأحجار

ويتألف ديوان يقراه العالم ويعرف منا صحيح محنه الاستعمار

حنا في الحياة شفنا جهنم وعرفنا معنى الظلم و الاحتقار

قرن وثلثين سنة نتألم وزيد لها عمين معدودة بنهار

قهر وقمع وذل والأسى والغم والقلق والخوف واحتمت الأضرار

في القرى والمدون ذا الظلم مخيم والشعب المسكين مضايق محتار

وهذا ساكت ذاك بالهمس يتمتم وهذا خائف ذاك يتحسس من الجار

وهذا نار الغيظ في صدره تضرم يتنهد مخنوق ودمعه تنهار

وهذا يقولك سابقة والوعد احكم نصبر للمكتوب كي شاءت الاقدار

18- هي قصائد مخطوطة منحت لنا من قبل الشاعر حاج باينين.

والمؤمـــن يكـون فـي غيظه كاظم والمـــؤمـــن يـكـون فـي الشـدة صـبـار

والمـــؤمـــن يـكـون إيـمانه دائم متمـــاسـك بـنـيـان ســاســه الـــجـــدار

اشهد يـــا تـــاريـــخ عـنـــا وتـــكـــلـــم

خـبـثـــاء وآنـــذال ما يسووا درهم خداعـــة مـاكريـــن لـعـبـــوا كـــل ادوار

ذا يـــدعـــى الخـــير سـخي يتكرم البســـمـــة خـداع والمـظـهـــر غـــرار

وذا يـتـمـرد ذاك يتجسس ويـنـــــم وذا يـتـنـكـر ذاك يجـمـــع فـــي الأخر

وذا يـتـمنى فـــرنـــسا تبـق تحـكـــم لا حيـــاء لا نـــيـف في وطـنـــه سمسار

لا حـيـاء لا نـــيف لا فكر يخمم ولا نـخـــوة لا عـــز مخـــلـوقـــين أخوار

أمـوات من الضمير والقلب مدلهم صـم بكـم عـمـــــى والعقـول صـــــار

مـاذا يـفيـد الـلـوم وماذا يفيـد الذم ومـــاذا يفيـــد النـــور في مـعـمـــى الأبصار

وماذا يفيـد الكلام في من لا يحشم ومـــاذا يفيـــد الـعد لو نـجـمـــع الأصفـار

يـا سـامع نـوصيـك كونك ملتـزم وذا الـنـصيـــحة خـــوذا مـنـي مـعـيـار

الكـافـر مـحـال مـا يرضـى مسلم مـهـــا كـــان صـــديـــق يرجع لـه مكـار

اشهد يـــا تـــاريـــخ عـنـــا وتـــكـــلـــم

مـعـــانـــاة قـــوات والضـر تفاقـم هـــان الصبـــر وطـــال عـــنـــا الانتظـار

خمـس مضت أجيـال وسادس قادم ومـــا صـبـنـــا لخـــــروج محنتنـــا مـار

حملـنـــا فـوق أحمالنا وصبرنا كم وكـــل يـــــوم تـــزيـــد عيـشتنا تمرار

وكـل يوم الحـال عـنـا يـتـأزم وكـل يـوم تـزيـد تـضـاعف الأضرار
ظنـوا هـذا الشعب غبي ما يفهم ويستسلم للضغط ما له خار
يـا ظـلـمنـا خاب ظنك يا واهم وضـغـطك الـمفروض ولد الانـفـجار
وتنبـه من كان عن مكـرك نائـم وزاح القـنـاع وطـاح السـتـار
وتحدينـا الخوف لما الشعب أعزم وقـال الـوطـن فـوق كل اعـتـبار
جبـهة التـحريـر فـي السـر تنظم وبـعد تـقـوى صـفـها قـرت قرار
قـالت كفـى خوف لبـد نقاوم هـون المـوت ولا حيـاة الاحـتقار
الشـرف والنيـف عزة بن ادم ومـوت الشـرف خيـر مـن وصمة العار
إذا عـشـنا نعيـش عيـشة نتنعـم وإذا مـتـنـا نـوت شهـداء أبـرار
وتبقـى عنـا أجيـال تشكر وترحم جـيـلا بـعـد جـيـل تتـوارث الأخار
ويـبق جيـل الغـد من يستـلهم ونـورث أبـنـاءنـا حـب الوقار

أشهد يـا تـاريـخ عـنـا وتكـلـم

هـذا النداء ذاع فـي الوطـن تعمم شـرق وغـرب وراح حـتى للهقار
تـوحد الـرأي والخيط أنسجم فـي الفـاتح نـوفـمبر خـرجـوا ثوار
بالإيـمـان متـين والقلب مصمم فـي سبيـل الله مـا يـخشـوا جار
رغـم الخصـم عنيـد بالغرب مدعم والاعـانـة تـجئـه مـن الحلف الغدار
عـدو للإسـلام حـاقـد ينتـقم ملـحـد كـافـر شين مـا يسـوى ديار

مفتـــرس جبـان متغـطرس مجرم كـالــوحش آي صاب عــاطـل فـي القفار
ذا المـلـة مـا تصيب فيهم من يرحم وهــذا المـــلـة مخـلطة خـــلـط العسبار
الــمظلـوم بظلمهم يرجـــع ظالـم والظـــالــم يـــبـــرئـــه بـــكـــل أعذار
ورغـم الظلــم ورغـم عنا ما حتم مـــن قـــتل وتشـريـد وعذاب الحصار
ورغـم الطـائـرات تقصف وتهدم ورغــم الدبـــابـــات والمـــــدافـــع هدار
ورغـم القـذائف والهـــون ينـــغم ورغــم الرشـاشـــات من ثـقـــــل العيار
ورغـم الـقـنـابل وألغـــام مطعـم كـم مـــن قـــرى خلات دمـــــرهـــا دمار
استعمـلوا المحـظور وسلاح محرم ولـلأســـف أبـيـــح فيـــنـــا الاخـبار
ورغـم الكل ورغـم عنـا ما رغم وبقـــيـــنـــا صامـــدين ضدا لضد إصـرار
تقـــــهقر وضـعف جهده وتلـجم وعلـــى حـــب أوطـانـــا نهـــدوا الاعـار
ولا نـرضـــى الغيـر فيـنا يتحكم ولا نـقـــبل عـــذرهم ولا حـــــــوار
أشهد يـــا تـــاريـــخ عنـا وتـكلـم

أطـلـبـــنا الإلـه والطلـب استقـم وانتصرنـا علـى الـعـدو خـير انتصـار
جـبـــنـــا الاستقـلال وزال السقـم وسطـــع نـور الحق ضـوى بـانتـشـار
أرجـع لنـا العـــز والخصم انهـزم زال الظلـــــم وراح ورجـع الاستقـــرار
الخـامس من جويليـة يـوم معظـم فـرحـــة عـــمت في الـوطـــن بعد انكسار
أندثـر الـحـزن والفـرح ارتـسم وعمـــت الأفـــراح فـــي كـــل الديـار

يـــا فرنســـا مـا بـق ما نتفـــــــــــاهـم آن جـلائـــك مـــا بـــق لبـقـــائـك أعـذار
وجودك يا الظالمـــــــــــة في الوطن حرم كـــفـي مـــن التـدليـــس وتـــركـي الديار
مـــا أنـــت شاري موثقة عقد مرسم ولا كـــاري نعـــوضـــك حـــق الإيـــجـــار
ولا أخـــت نـقاسمك ورثـــــــــــك لازم ولا خـــلـيلة نـغـــازلـــك بـأحـلـى أشعـار
ولا بنـت الخـال ولا بنـــت العـــــــــم ولا قـــــربـــة لبـعـضـنـــا ولا أصهـار
ولا قـــــربـة لبـعـضـــنـــا ولا أصهـــار ولا جـــارة نبـــــــادلـك حســـن الجـوار
أنت طـــاغي ظـالمة جنـس ملقـــــــــم يـــهـــود مجـــــوس مـــلـتـــكم كفـار
وحنا عرب صحاح نسل بني هـــــــــاشم وفيـــنـــــا أمـــزيـــــغ مسلميـــن أخيـــار
ما نرضـــخ ما نخـــاف ولا نذمـــــــــــم ومـــن يتعـــدى حـدودنـا يلعـــب بالنـــــار
الجزائـــــــر غاليـــة ما تســـــــــــــاوم تحـــفـــة نـــادر زيـــنـهـا يجـلب الأنظـار
أرضـــها شاسـعة والخيـر يـعـــــــــم فـــلاحـة وأشجـــار فيـــــها كـــل ثـمار
والـــبترول الـخام والغـــــــــــاز مأمم وصحـــــاري وآثـــار نـــزهـــة للـزوار
ذا الجـــوهـــر قـــارة بيـــن الأمـــــــــم نجـمة تضـــــوي ســـاطعـة بيـن الأقطـار
أحفظهـــا يا ربـــي بجـــاه المعظـــــــــم وبجـاه الرســـول جمـــلة والأطـــهـــار
وبجاه الصالحين وأصحاب الهمـــــــــم بـــــوبكـــــر وعثـــمـان وعلـــي وعمار
والصحـــــابة أحباب أشهد يـــا تـــاريـــــخ عنـــا وتـكلـم ابعيـــن لـــهـم والأنصـــار
عرابـــي مـــازال في الشعر ينظم ويـهـدي ذا المنـظـوم رحـــمة لـلأبـــرار

نبكـيهم بدمـــوع والقـلـب مألـــــم ونبـكـــيـهم ويــفيض دمـعي صـب أمطار

نشكرهـــم كثيـــر ونزيـد نعظـــــــــم ونمـــدحـهـــــم بـــكـل عـــــزة وافتخـار

والصلاة علـــى النبـــي بـها نختم مـــحـــمـــد شـــفعـــيـنـــا نـــور الأنـــوار

وفي هاته القصيدة نجد جميع مضامينها بدون استثناء تتجلى من خلال عنوانها الذي يعتبر النواة الدلالية لبنائها, حيث أن هاته الأبيات الشعرية تؤكد على أن الذاكرة تشهد وتخلد ما قام به المجاهدون في سبيل الوطن, باصمين على تضحيات متأصلة في تاريخ الأمة.

و يقول **الشاعر التواتي عبد القادر** في الغرض نفسه في قصيدته **"تاريخ يبقى للأجيال"**:

يـــا سايلني نعيد لك واسمع ليا نـــــهديها تاريخ تبقى للأجيـــــال

يـاك انايا خـــوك وانتيا خويـــــا ســـــال على كاليوم عليك نســـــال

هـــذا واجب كل ماهيش مزيـــة كان تعاديني عليك ايضيق الحـــال

شـــــاهدنا بكثير في هذا الدنـــيا نكتبـــــو ما دامنا لعمـــــــار طوال

تسمعينا والألف صفحة مطوية واثنيـــــن وستيـــــن يشهـدو لنجـال

وشهريـــــــن حساب بالميلادية والثالث عشرة وتسعـــــة حط البـــال

وفـــــــي اليوم اتحقت الأمنيـــا يوم النصر على العدو كثرت لهوال

في ذا اليوم اعلات شمس الحرية شـــــق الفجر بعيـــد يوم الاستقلال

في ذا اليوم اعلامنا في العلـــــيا لبيض واخضر في نجمة وسط هلال

فـــي ذا اليوم احبابنا فـي الجليـــــة يـحتفلـــو واشاركونا فـــي الاعمال

فـــي عهـــــــــد التحرير شفت بعينيا بـــــع القرى كلها صـارت اطـلال

وبـــدم الشهيـــد صارت مســقية وافقـــدنا ثـــوار نســـوان وارجال

قـــوة الألفـــين يلقـوها بميـــة والطيـــارة يقـاومـوها فـي لجبـال

قذيـــفة الهـــاون ضخمـــة سمية والاشعـــــة نارها زرقـة شعـــال

والهـول والأهوال وهمـــوم قوية والاسلحة مدعـــمة قـــوة الأرذال

عمـــلوا تبـــرع حلـــف النازيـــة جّـاو ايعينوا فرنسا فـــي الاحتلال

والخـــونا تعـــاونو والقوميـــة والخـــداعـــا ذا لهـــاذا بلرســـال

والجـــاسوس معه ورقة رسميـــة كـــي ايوريها ايعاملوه بالاستقـلال

مـايسواش ارخيس حتـــى ســـويا عـــايش في لوهام والقيـــل مع القال

ويلايم لخبـار صبحـــة وعشيـــة واللـــي غالط مـــا يغلـــط العقـــال

حيـــنا برجـــال ماهيـــش هدية والجزايـــر حبنـــا ليـــها مـــازال

مليون ونصف كل راحـو ضحيا والشهـــدا ما يعوضـــــهم بالمـــال

مازالو حييـــن راهـــم في الايا ســـال اهـــل القؤأن قـــول الله تعال

بقدرة ربـــي الميتة ترجـــع حيا فـــي رمشة العيـــن تنقلب لحـوال

نوريـــكم إلي انشد ذا القضايا شـــاهد يوم النصر وانظـم ذو قوال

هـــذا اسمـــي كان سولت عليا بـــــن عبد القادر تواتي كان تســـال[19]

دون أن نتناسى الشاعر المرموق حاج بينين الذي أبدع هو الآخر في التغني بالثورة وحب الوطن في العديد في قصائده. فالروح الوطنية كانت حاضرة بقوة في أشعاره، مستوحاة من النزعة الثورية التي استمدها من الشعراء الذين عايشوا الحقبة الثورية وصولا إلى الشعراء المعاصرين الذين ولدوا وفطرة التسليم بحب الوطن متأصلة في أعماقهم.

ومن قصائده **الحاج بينين** في الثورة والوطن:

وأنـــايـــــا واهـــن ضـــعـــــيف بيـــن الضلـــوع ســـاكن ولـــفـــي

بيـــن حـــــروف أهـــــل التعريف مثـــــــلوف وشـــــارد حـــــرفـــي

كي الشجـــرة فـــــي عقـب خـريـف مهـــلـــــوك متعـــكس ظـــرفـــي

فـــي غصـــن مـــاهـوش تليـــف رقـــت الربيـــع ميـــت عـــرفـــي

كي الصحـــــرى فـــي عـام عجيـف بســـــاط الريـــــح جـــابـــو مكفـــي

حتـــــى اللســـــان يعـــــود كسيـف واش نقـــول يعجـــــز وصـــــفـــي

وأنـــايـــا ممـــلـــوك شـــريـــــف محبـــوبـــي لـــــيـــا يـــــجفـــــي

بنـــــوار فـــــي ليـــلة صيـــــف مـــــــثلـــت بـــــدر الـــــوافـــي

تمنيـــــت يقصـــــدنـــــي ضيـــف وأنـــا نهـــديـــــه قـــــــوافـــــي

من شـــوق كـــــاظـــام عفيـــــــف فـــــي حـــب رانـــــي منفـــــــي

مســـهـــدني جـــــرحـي ونزيـــف ضـــــي الهـــــلال درت خـــلفـــــي

مـــن قبـــل لا ننـــطـــق لا ليـــف محبـــوبـــــي ســـاكن جـــوفـــي

[19] - قصيد مخطوط أمدنا به الشاعر حاج باينين.

كـــي طلعـــت مـــن بـعد كسيـف مثـــــلت شـمـس حـــروفـــي

حيـن رجعـــت مالقيـــت وصيـف شـــق القمـــر درقـــت تـــخفـــي

وكـل شـــاعـــر يحضـــر بسيـف لـــو نجـــمـــع كـــل وصـــافـــي

حقيـــقة مـــاهـــي تـــزييـــف مـــا نلقـــــاش اللـــي كـــفـــي

بـحســـانـــك وكـــــلام ظـــريف يـــا لمـــــالكـــه جـــودي روفـــي

جـــزايـــــر عيـــن التشـــريـف لبـــلادي نهـــدي حـــــــرفـــي

مبـــــــلاد الحـــــــرمه والنيـف ارضـــــي مبـــــلاد الخـــلوفـــي

مســـــلـم لشيـــوخ التعـريـف قـنـــدورمـــانيـــش اكلـــوفـي

بـــاينيـــن نـــاظـــم حـــروفـــي مـــوهـــبة مـــاهـــي تكليـف[20]

وفي هذه القصيدة يصور الحاج بينين الوطن (الجزائر)، بطبيعتها الخلابة وشعبها المعطاء:

جزاير حرفي

ســـوليني نجاوبـــك أنـــا دون خـــلاف

شـــهري بـــدلالك وعـــلاش تخـــافي

[20] - مخطوط شعري سلمه لنا الشاعر نفسه.

أنـــا نهـــواك بـــالقوانين ولعـــراف

ســـارح فـــي هـــواك بخيـــالي وخرافـــي

أنـا فـــي بحـــر لمحـاسن ولوصـــاف

شـــاتـــي مبحـــورك نمـــلا غـــرافـــي

ربـــي عطـــاك مـن خيـرات بـــزاف

ولـــي عطبـــني مـــن خيـــرك يشـافـــي هـــــدة

محبوبـــة ولـــي نحبها فـــي لوصـــاف

سكنـــت مـا بيـــن عضـــايـــا وطـرفـــي

مـــاهـــي حوريـــة نسبـها ملشـــراف

كـــابرة فـــي معطـــن الـذهب الصـــافي

ماهي غـزال بـري ســكن في لجـراف

يـــعرف ســـرارهـــا ظـاهـــر وخـافـــي

جزاير

يـــا وردة نـــابتـــة وســـط كبـــادي يـــا شـــجرة شـامخـــة بيـــها نبـــدا

يـــا صيـحة زايـــدة فـــي تنهـــادي ذي جمـــرة وحـاملة نـــار الصهـدة

يـــا بســـمـة خـــارجة مـن فـــؤادي ويـــا كلـــمة ساكـــنة فمـــي لبـــدة

ذي دمعـــة نايـــمة بين تمـــادي منـــك ليـــك ســـرهـا هـم الوحدة

يـــا قمـــرة ظـــاهرة وسط نشـــادي مـــن حـــنك فـارحـــة ذيـــك الوردة

و الفـــرحة هـاربـــة فيـــك تنـــادي منـــك ليـــك ســـرهـا هـم الوحدة

يـــا قســـمة وارثـــة أصـــل جدادي يـــا قصـــة خـــالـــدة هـذي مدة

ذي روضـــة حـاضـــية ســـرولادي والكلـــمة قـــالـــها شـاعـــر وغـدى

كـــالموجـــة جـابـها بحـــر الهـادي فـي بـــرك قـاصـدة شـــط النجـــدة

يـــا نحـــلة كـــابـــرة وســـط ورادي مـــن ســرهـا صانعة عســـل الشهدة

يـــا نخـــلـة واقـــعة عـــند مجـادي فـــي واحـــة مزيـــنه صحرى جردة

والهـــمة كـــابرة عنـــد سيادي يـــا قلـــعة صـامـــدة بســـم الوحـدة

يـــا سمـــرة زيـنك زيـــن بـوادي بخاسـة النســـا وحـــدة وحـــدة

جزاير

يـــا عـــذرا شـــامتة فـــي حســادي يـــالـــبـــة واجدة صيـــــد الهـــــدة

يـــا حلمـــي داســـو تحـــت وســادي يـــا يقـــظة درتـــها شـــاو المـــبـــدا

فيـــك العـــز وهمتـــي وقت نكـادي وليـــك نكـــز غيـــر فكـــي ذ لعقدة

ذي عـــذرا والـــعة جـات قصادي فـــي يـــومـــها ورد عطـــر ونـــدى

يـــا روحـــي وراحـــتي عند بـلادي جـــزايـــر عشـــقك عنـــدي لبدى

ذي وردة فـــاتحـــة فـــي ميعـــادي يـــا وطنـــــي حبـــك درت عقـدة

يـــا درة عشـــقهـــا فـــي لـــوهـــادي يـــا كلـــمة نابتـــة وســـط الكبـــدة

سبحـــانك خـــــالـــق العـــبـــادي تـــــرحـمنـا فـــي يـوم نـار الصهدة

محمـــد سيـــدي وسيـــد سيـــادي يـا نبـــي تشـــفع يـــوم الشـــــدة

مهما بلغ العدد الذي استعرضناه من نماذج قصائد الغرض الثوري, فإنه لا يمثل إلا قطرة من فيض. أما الآن فننتقل إلى غرض آخر لا يقل أهمية عن الغرض الثوري ولا تكاد تخلو موضوعات الشعر الملحون المستغانمي منه، وهو الشعر الاجتماعي, الذي يعد هو الآخر من الأغراض التي شغلت أذهان الشعراء وأقلامهم, نظرا للقيمة الفنية التي يحظى بها والصورة الشعرية التي يحملها, إضافة إلى التجربة الشعورية التي يعكسها من خلال تصويره للحالة الاجتماعية للشاعر كفرد أو للمجتمع ككل, وذلك عبر المبادئ التي ينطلق منها, والتي تميل أكثر إلى النزعة الإنسانية التي يعتبرها الشاعر في كتابته الهدف المرجو بلوغه دلاليا والرسالة التي يطمح تزكيتها ونشرها بالمجتمع فالشعر الاجتماعي الملحون ما هو إلا عصارة واقع الشعب وفق قالب شعري مرن يتسنى للجميع فهمه والتعبير عن حياتهم وتسارع أحداثها ووقائها وللتوضيح أكثر يمكننا الانتقال إلى ما تطرق إليه عديد الأدباء:

[21] - مخطوط شعري سلم إلينا من لدن الشاعر حاج باينين.

الشعر الاجتماعي:

يرى أحد الدارسين بأن:(الشعر الملحون يولد من رحم الواقع الشعبي الاجتماعي أو النفسي أو الفكري... وهو يجسد الحال الاجتماعي للأمة التي ينتمي إليها ويجسد أخبارها ويعبر عنها مستوحيا صورة صلبة وعلى أساسه إضافة إلى لغته يتمثل الطابع الشعبي كأحسن ما يكون من التمثيل).[22]

ويؤكد عبد الحميد بورايو أن الشعر الملحون هو الوسيلة الوحيدة لنقل كل ما يخص الجماعة الشعبية وتصوير حالها وتسليط الضوء على قضاياها وعرض أحلامها ومآسيها, وذلك حين قال:(إن الخطاب الأدبي الشفوي كذاكرة تاريخية قدر له أن يكون الوسيلة الوحيدة التي تملكها الجماعة الشعبية من إدراك العالم ومعرفة وتوجيه السلوك).[23]

وحول هذا يمكننا القول أن الشعر الملحون تسلل لكينونة المجتمع واخترق الهيكل الأمم وبات موئلها لنقل أخبارها و أحوالها والتعبير عن أحاسيس ومكبوتات الطبقات المحرومة التي انفصلت عن وسائل المعرفة كما أن الشعر اتسم بكونه شاملا القضايا المتعلقة بالمجتمع والحياة ولم يهمش أي منها.

وفي نفس السياق نجد شعراء مستغانم قد تفانوا في سرد أحداث و أحوال مجتمعهم وعكس صورته في مضامين قصائدهم مجسدين الغرض الاجتماعي أينما تجسيد, فها هو الشاعر خالد شهلال يجسد جانب من حال المجتمع في قصيدة العزاية:

قصيدة العزاية:

استخبار

البيت يحـــاسب نفسه خيـر مالنـاس لا يعــود اشفـــايــة منعـــوت بالصوابـع

ويـــح من وهماتو روحه عاش في باس صـار مشنـــوع بكـــل اعيـوب اطبـايـع

ويـــح من عجبـــاتو ليـام دارهـا لبـاس بعـد ســـاعة يتعـرى وســط الجمـايـع

تعز وتذل والدنيا هاكذا سوايع

22 - كميليا جنان، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون ديوان:" بسمات من الصحراء" لـ: حسان درنون - الجزء الأول أنموذجا- دراسة فنية موضوعية، جامعة بسكرة، 2016- 2017، مذكرة ماستر، ص12.

23 - عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية (التاريخ والقضايا والتجليات)،دار فيسيرا،(د.ط) ،(د.ب)،2009 ص18

كيف ترجـى صحبـة العـــز بين لرذال شـال من فـارس راح فريـسة الهوايس

وين لشـراف اهل الصولة سوقهم زال طرفـوهم واضحاو احديـث فالمحاشـش

عـاشـريــن العـزلة متوحشيــن دلال مـا يقــدو لعفـــار النـــاس والطوايـــش

إلاهي صـد اعليـنا همـوم ذ الحـــال بجـــاه سيـد الالـة سيـف اللقـى الباطش

حازني هم الفرقة والغى الفاحش

صياح

دعيــت ربي واعرفـت الخير فالصبر قلـــــت هو يتولانـي يشـوف حـــالي

يـك بالصبـــر ادوي لجـراح ينجـبـــر شحـال منعبـد اربـح واوصـــل للمعـالى

شـــوف نبـــى الله ايـوب كـــى انتصـر بـــعد مرضـه وافـراق اولاد عـاد سـالي

وينهم ايـــام التحزام كنـــــت مقـــدام جل منـهم تحـــت اعلامـــي عـاش محمى

كي نقوم او نزهـر ايفـــز كل مـن قـام سنيـــن جـازو عـاشو يتقـومـو ابدمـى

جـــراو ليـا من كانو في ضيق واخصام صنتهم فالحـزة واليـوم صـــرت مرمى

ما ادريـــت نطيـح او نعثر وسط لوحال كيف ننجـــى والفـم اللـى يجـوز ينهش

عدت ننـظـر ابكـــم او غابلـى التحيـال عنـد قـوم اظفايــر الراس والمناكـش[24]

إضافة إلى قصيدة أخرى ذات طابع اجتماعي لشاعرنا شهلال كتبها ردا على شيخه الشاعر" بن عبد القادر تواتي" أطال الله عمره حيث قال:

رد المحبة

هات ليدك ليدي يا صاحب المحبـــــــــة نتبادلوا بالمعنى ونفصلو الخطاب هاج

غيـضك ولغيت لصاحب المحبة درت هدة بع الشـــدة او هم لصحـاب

ما تكـيدك غلبة ولا سـهم غتبـة بغيـر صحة وأكـتاف التـراس ينهـاب

ديـر يدك فيدي نهدى ليك وجبـة درت عاهـــد واليوم اكرمني الوهـاب

قريتلك الخطبة وافهمت ما تخبى رميتها مـن جعبة وفهمتها التصـــواب

هزني ذاك الدى او دالي السـبـة جيـت نعـطيك الرد اشيخنا المرحـاب

كلمخلوق على طبعـــو كي تربى العبـــاد معـــادن والعيـــاب ينعـــاب

ذاك هرتال او ذا عكلى ذاك ثربـى ذاك راضـي هذا مغرور ذاك نصـاب

هكذاك الدنيـــا موصـوفـة بشعبـة مسهلة فالحفـــرة وامدرقي الزرداب

كل كـــالح فيـها خزنلـو القربـة تبـــعلو بالقـطرة وتعلمـو التوقـاب

كـان فـض المكتـوب تعلمـو الطلبة تعود كـلمة الله ينـوب كى النشـاب

سرابـها مـا روى ما نـدى بزغبـة كـان صح اتكـرم يميـنك بضبـاب

[24] - مجموعة قصائد مخطوطة بعث بها لنا الشاعر عن طريق الشاعر حاج باينين.

شراو منـها لامان او صـدقو الكذبة ما خـذاو نصيـــحة مالعـراف لبـاب
سـايروها وارصاو على كـل عجبة يكـحلـو للعمـية ويعطـرو المجـــراب

بالرخـام يعلـو والتـزراب قصـبـة مشبحبين الدخلـة والدار طيـــن وتـراب
كي البرنوس بـلا سروال خو الجبـة ما نـــفع للستـــرة غيـر شبيـــه تنقـــاب
يـــتـوزو للمكفـــى ويلمـــو بزربـــة كان خـص حبيبـــة يجـرو لكـف طـلاب
كـراو شيخة للصـم او قـوو الصخبة طريـــق لعمى بالضـــو هديـــة لحبـــاب
يرقصـــو فالظلمـــة يقـــوو الجدبـــة كـــان ترقـــص انـت قـالو قليـل اداب
شيخ بوقرون اذا عزبة او دار خطبة والعجـوز الشمطـــة تجـــري ورا العـزاب
زيـن وشبـاب أو شـــاب على هم غلبة بوكنـــايـــن ادبـــغ الراس عـــاد ش بـاب
فارصـــو فالنسـوان او رضعـو الربة ورثـــوهـم او ولـــد الكـرش صـار بـواب
يخبـــرو للكنـــة ســر الدار كتبـة والنســيـــبـــيـــزمل ويسقســو اذا غـــاب
كـــان مـــات الشطـاح يكبـــرو الندبـة والبريـحة ترقـــى ويعـــزوه لركـــــاب
يخبـــرو شـــق بحـــور ويكـرو الركبة حتى وروميى و يقولو راه غيـــر كي تاب
كان مـــات النطـــاح يجو غـــير قربى والعـــزى فالستـــــرة والعـــزاى قهـــاب
حتـــى الطالب يجي ختلة بغيـر رغبـة يـــعجـــلـــو للردمـــة ويشبعـــوه تعقـــاب
ميبسيـــــن الجـــدرة ويشربـــو الشطبـــة مـــا ثمـــر فـــرع بلا اصـــلو زارعـــو خـاب

يفلحـو فالحجـرة وبنـاو فـوق خصـبة ويـــح من قالولـو داوى بشيـبة غـــراب

يرقــعو فالخــربــة ويهــدو الصلبــة حالـة اللى مكسـى طلبــة عـــاش طباب

تقــاتلــو على المـزود او شمعـو المخبة حــاسديـــن اللقـاط علـى خريـف لجناب

الشـنا مالهيبــة ماللجــدود كسـبــة ينقطــع فالستـرة مـا هو فات لاينصاب[25]

ونظم بدوره شيخه التواتي هو الآخر قصيدة سرد من خلالها أوضاع المجتمع رابطاً الماضي بالحاضر حيث قال:

تحية وسلام

تحية وسلام فوق جنـــــــــاح حمـــام وغصان الزيتون رمز السلامـــة

جزائرنا يـا الغاليـــة في لسـوام سماوك بلاد عـز وكـرامـــــة

يا شجـرة الطيب عاليـة المقـــام عزك ربي اعطاك هيبة وكرامـــة

طبعـولك سـادات وعطاوك وسام شأنك فـوق رؤوس داروه عمـامة

سـراجك منير ساطع جـوف ظلام أنت أم أفريقيـــا عنـــدك قيمـــة

وتحدتـــي كـم حطمتـي الأرقـــام كـونت رجـال خصـــلة وقيـامة

ما بيـــن الأجيـال تـداول الايـام بـوبـــة يصحـى حالها نوبة ظلمة

ما يعل بعلـــوم مـن غيـر العـلام يعلـــم بنـا إلـى نشـأ هذ الأمـــة

[25] - هذه من مجموعة قصائد تحصلنا عليها من لدن الشاعر عن طريق الشاعر باينين.

واجب نرضى كي حكم حاكم لحكام غـــرارة بنـا النفـس اللـوامـة
تخـريـب وتهريـب مدة ثمن أعوام في أرض الشجعـان وطن الشهامة
هـذا المـدة نكونـوها أضغاث احلام ينصـــرنا ربـي ويفجـي ذا الغمة

يرحمـنا ربـي ويرفـع ذا السقـــــام من أرياح لجنـان تتبسم نسـمة
نضـربو الأمثال اخـوا زوج تـوام هـذا لـذا يقـولـه هـذي يـمـا
هــذاك يقول ذي حلال وذيك حرام وهــذاك يقـول سرحـولي علامة
والأم الحنــون مرميــة في حمــام مــن حـر النيران سكنتـها حمـة
بقــدرة ربـي جات صحـوة بعد غيام واتفقــوا رجــال نيـفا وزعــامة
قــام الشعـب او راح صوت باحترام واختـاروا رجـل حنكـة والحكمـة
واعطــى عهد كبير وحلف بالإيمان شيــب وشبــان نعطيـهم كلمــة
يــرفـع رأســه للسماء ايقـول نعــام بعــد الــي كـانو حقوقه مهضومة
نشــكـر هــذا المرء وحنيا اســلام مــن عهد الرســول مول الغمامة
يــا فرسـها فــاز عودك من القـدام فرحــو بيــك مــدن وعرب خيامة
يــا رئيــسها سيــر بيـنا للأمــام نحــن فــي مسعــاك الفـرضمـة
يــا عنتــرهـا قايـد الحرب بنظام تـاريخك معـروف عنـد الفهــامـة
يــا حتمــها شعت بالجود والأكـرم ربــي يحــب الســاخريــن الكرمـة

عــزك ربي بان طودك فوق أهرام يــا منــزل العــز نســل الزعامــة
صــدروا قوانيــن وشــروط الوئــام وتــائب عنــده طريــقة معلــومة
هــذا مستفيد من عــفو التحــطــام الأخــر يستـنا أعمــالــه متهــمــة

هــذوا يترجــاوا تقريــر الحــكــام شــرع الله نزيــه عنـد العـلمــا
وجنحـت للســلم ما بيــن الأمــم مــن عنــد الإلــه نزلــت ذا الرحمة
يجزيــنا مــن الدم ودمــوع الأيتـام يكفيــنا مـن عـوم يـم الدوامــة
يتم الصلح ان شاء الله في هذا العام تتغمــد جراح تضحــى ملمومــة
احذر بــالك قبـل ينتهــوا الأيــام مــن بعــد المهـلة تكــون الصرامة
الجــاهـل مهمــا تلومو ما يتــلام مـا يســترجـع مـا يخــاف اللوامـة
والنمام دوام عايــش بالتحتــام يستعــدل ويميــل نوبــة يترامــى
هــذا يسرق ذاك عايش في الأوهام هــذا يمــرد ذاك يـردي كالفقمــة
هــذا راشــي ذاك مرتشــي روام لــو صــابوها هكــذا تبقــى ديــما
بعــض الحقارين من شبه الأقزام مثل الخـفافيــش عيشتــهم ظلمــة
شــي ناس يعلــو الباخس في لسوام وشــي ناس يمثلوا البرنــي للهــامة
هل يستوي نور الشمس مع الظلام هــل يستـوي الــي بصير مع الأعمى
نوريك اسمي كان سلت على لنظام التــاء قبـل الواو والتــاء مرغمــة

يشكر الى ساهموا في ذا الوئام بن عبدق الي نشد ذا المنظومة
مانشي عتاب ما نشي نمام من يغتبنا يرش بارودو بالما
نعتذر اذا اخطأنا في الكلام بأمر السادات نحن في الخدمة

حسن النية في صلاح الرأي العام يهديـنا ربي طريق السلامة
نطلب النجاة في مسك الختام نعود متحدين على كلمة
والصلاة على احمدو ألف سلام يشفع فينا يوم حر القيامة
هيا كلنا نشارك في الوئام نحن بأيدينا نحلو ذا الأزمة[26]

النفاق وازدواجية الخطاب من الأمراض الاجتماعية التي سلط عليها الشاعر باينين الضوء، وهذا في قصيدته: "زوج وجوه":

زوج وجـــوه

متن ساسك يا حبيبي كان بنيت وذا طال الدهر عليك يوريه
ما داري ليام تكشف ما سريت قلبك كان ستر ذ لسان يدربيه
ما تتفاخر ما تقول أنا وفيت خليها الله أجرك يزكيه
ما تهدرشي فالوسع ماذا سويت وذا ضاقت يومها ظهرك تعطيه
لا تغتبشي لا تمن إذا صليت عض لسانك لا يجي يوم وتكويه

26 - مخطوط شعري تحصلنا عليه من الشاعر باينين.

شـــي كلمـات يخصها عود الكبريت وذا ضـــاقت يومـها ظـهرك تعطيـه
يـا واكل مـلحـنا بعـد شبعت نسيت مـن لا ذاق المـلح يجـهل مـواليـه
دار الدنيـا بـاخسـه لكـان قريـت كـم مـن واحـد بايـعك وأنت شاريه
زوج وجـوه مـردفه كالمـا والزيـت يتـعب الراعـي فالذيـب يربيـه
يـومـن يكبـر يخطفـها كالعفريت سيـره بـوه يديـرهـا ماهو خـاطـيه
عشت وشفت أصاحبي زدت اتكويت وقـريـنا لمحـان ذلـهم ومـاضيه
جـرعنا كيسـان سمك كي سربيت ودوانـا عقـار ليـام توريـه
والدنـيا دالا تكشـف واش نويـت مهمـا طـال الليـل الفجـر يعريـه
عقبتـنا مـازال تطـلع كان عييـت واش تعـافـر نجعنـا خيـر مواليـه
أرض مجاهر في حماها جبت البيت كـان تسـول مستـغـا وجبـد لهيـه
سـول مـن قـال مدنيـا مليـت يعطـيك الجـاهرة ولي خافيـة[27]

وقال أيضا:

بـــاب المحبـــة

بلعـنا باب المحبـة ونسيـناه
ونسيـناه من كان سبة في جالو
كمـدنـا جرح الغتايب وكويناه

[27] - مخطوط شعري سلم إلينا من قبل صاحبه.

وكلـــنا ربـــي يعلـــم بحوالوا

مـــا شربنـــاش الما حتى صفيناه

وما كليناش الصيد في غيرحلالو

ومـــا قلنـــاش كـــلام حتى بينـــاه

وما نرضاوش الكذب لا من يسعالوا

ومن جـــا بالفتنـــة خايب رديناه

والعـــرة فالأصل يـرجع لخوالو

ما كليناش اللحم اخضر وشبعناه

كلمتـــنا فالوجه لا غيـــر بدالوا

ومغتبنا بلسان لي عطانا بكفـــاه

ما ينفعش حديث في غير سوالو

ما درناش حبيـب غ عام وعفناه

مابنيناش ســـواق بخاصيل قالـــو

كـم حديـــث وجـا طايح وسترناه

وكظمنا ذا الغيـــض ولي في بالو

وكـم شافت ذلعين باطل وهدينـاه

للــي خبنــا فيــه وشحال مثالـو
وقريـنا فنـجـــان كفـه وهوالـو

وكم من خاب الظن فيه وعريناه
كــي دارت ليـــام وتبدل حالــو
مــاشي قاع الناس تفهم ما قلناه
وماشي كل مريض يصبر لعلالو
وماشي كل كلام ساهل في معناه
ومــن لا يعبى قول يترك مقالو
ما شريناش حديث موزون كتبناه
قمحنــا وقت عشور سول كيالو
مــايخــفى ذلحط ولو درقنـــاه
فالصحرى والتل والوطن كمالـ و[28]

وينضاف عرابي عبد القادر إلى قائمة من كتبوا من الشعراء في الشعر الاجتماعي، حيث نظم واحدة من أعظم القصائد في الشعر الملحون المستغانمي وهذا في قوله:

أصبر يا قلبي

[28] - مخطوط شعري تحصلنا عليه من الشاعر ذاته.

يـــا قلبـــي ما بك متحير واجـــــــــــل وماذا الذي شـــاغلك عـــن كل أشغـــال
وشاغـــل بالـــي في وهامك نتخيل ونتخيـل خـــيال ثم يـــزيد خيـــال
حـارم نوم العين من جفني جـــافل وكل ليـــل يزيـــــد في ليله موال
وطـول الليل نبات هاجس نتملـمل ويا للأسف ضاق حالي من ذا الحـال
أبـــى ظلام الغيـــم عنـــي يضمحل وهـــذا العقـــدة ما لقيـــت لها حلال
الخيـــط اللي نجـيء نحله ينخبل ورأس الكبـــة غاص لي في ذا التخبال
أفقه مني الحديث كان أنت عـــاقل والنصيـــحة ما غنـــى عنها عقـــال
ليـــن صوفك بعد مشطها وغزل وقيـــمها تقوى لضربـــات الخلال
وإذا تلبس ثوب من حلـــي الحـلـل والـــباطن خالـــي من التقوى إغفـــال
والذكـــي تكفيـــه إشارة يـــمهل والغبـــــــي لو تـــهزه ما يبـــال
والعـــاقل إذا نهيـــته يـــعتـــذل والأحمـــق إذا نهيـــته زاد هبـــال
تعرفني من عـــادتي ما نتطـــفل لولا أنت ما جيـــتني ســاكن للدخال
ولو لا خـــوف الحقود عنـــي تتقول ونبـــق بيـــن فـــواه العـداء الرذال
البذيء والخسيس والصنف السافـل يديـــروني حديـــث بلبلـــة وهزال
وأنا هـــذوا أقوالـــهم مـــا نتقبـــل ولـــو كـــان حديـثهم في مدحي عال
نعـرفـــه مخلوط مـسموم معســـل البســـمة تغـريـــر والمظـهر ضلال
ذا المكـــارة واش فيـــهم ما تعـزل منـــهم يـا لطيف في ذا الوقت شحال

يـدعـوا بالحـب والكـره لداخـل يـمدحـوك ظهـار ويـذموك اختال

لو مـا هـذوا ما نعارض ما تفعـل ولـوما هـذوا ما يـضيق علـي حال
نسـكـت ونخليـك تتخبط حـاصل وللنجـدة ما تصيـب لا صاحب لا آل
ونرجع نكظم غيـظ غيـظي ونحاول نستفسـر عـلاه حالتـك حـاله حال
ونستغرب ونعـود فـي نفسـي نسأل ولا لقيـت جـواب يـكفيـني سؤال
كنت أنـت صبـار قـوي تتحمـل فـي الشـدة والضيـق تستغفر حمدال
متحصـن بالصبـر هـادئ متفـائل مـا تـزدري مـا تمـاري ما تـذلال
الحيـاء والجـود بـهـم تتـعامـل وفـي حسـن الخلوق كنت أنت مثال
مـا تخسـر ولا تـذم ولا تبـهل ومـا تـذمم مـا تنافـق ما تحتال
مـا تغتـب مـا تلوم هذر المبتذل وآلـي قـال تعـالمـه ما قـال
أش جـرى لك عدت مكتئب فاشل كـأنه مـا بـق عنـك أمـال
ذا الخـاطر ضـاق والهـم تـوغل أصبر يا قلبـي ومن يصبر ينـال
هـذا حال الدهـر عانـي مـا يعدل والدنيـا مـن قبيـل تتقلب بـدال
وإذا بك صـدود من تـهوى طول مـن لا سال عليك لاه عليه تسـال
غيـر أنت يا حنـين دمعك ينهمل وأنا من حقـي نقول عليك خبـال

أنت ترها بعينين الأهبل وأنا نراها بعيون العقال
أنت تحسبها و تظهر لك سهل وأنا يا قلبي عرفت العشق هبال
أبكي من دمعه بدمعك ينفعل ولا تبكي غرور بكي على الأطلال
وآلي نساك أنساه ولا ننساهل والجافي جافي كونه عز الأهال
كفاك ما تقول كفى وتبطل وترجع عند بديت في المحنة قوال
وترجعني معك للهم الأول بعد أن قلت نسيت همي همه زال
تعطب جرحي عند يبدأ يندمل وتحي ضر قديم فات عليه شحال
تحملي ما فوق ما نقدر نحمل وهذا المرة أعيت حمل الحمل ثقال
طاوعتك وانت تحرم وتحلل وتسهل حرامها وتقول حلال
في ذا الدجى نخاف يا قلبي تهمل وتتودر ما تصيب لطريقك دلال
والشكوى للعبد مولها يتمل وتقلل العز والرهبة تقلال
خلها على الله وعليه توكل وتوكل عليه حق الاتكال
وترجى وأعي بطلبك وتوسل وتبتل وزيد كثر الابنهال
خالق هذا الكون غاني ما يبخل سبحانه الكريم عظيم الجلال
كل المخلوقات بها متكفل ومقتسم أرزاقها حد الآجال
بين الكاف ونون أمره يتمثل وبأمره لا حال عنه يستحال
قال كون كان ذا الكون اكتمل ما نراه وما قدر وصفه سجال

الشمس والقمر له منازل والبروج تروج سباحة جلال

والسماء بناء بنجوم هذي راهي حكمة خالق الاعلال مهاد وتدها بجبال

وأبدع فيها خلق والإنس مفضل وكرمنا بالعقل ندرك كل مسال

وجعل الأيام بينا تداول حلوة مرة تدور بدلت الآحوال

إذا استوت كل شيء عنك يسهل ومفاتيحك يصبر يفتح كل أقفال

وإذا عوجت عاصية ما تعتدل صلية قاسي ما يفيد لها تعدال

وإذا جات تجبها شعرة عاجل وإذا صدت ما يشدها حبال

معدودة ومقيدة ويح الجاهل من لا فاق بعيب عيبه ذا ما زال

ما فجر ما زاد للفرض نوافل وما صدق ما زار ولا زكى مال

بخبره والقلب من بخله قافل ما شارك في عون ولا مد ريال

ما بادر في خبر ما دار خصايل ما عرفه رجال ما سافر ما جال

في عزلة مهجور وحده كالثيتل والا شبه بعير يعقل بالعقال

فيق من السبات واصحي يا غافل وسمع لي توصيك ببعض الخصال

إذا أعطاك الكريم خيره لا تبخل ولا تتكبر ولا تغالي ولا تتعال

ارحم المسكين وكرم السائل وحسن لوالدين ونفق للعيال

واحترم الجار والخلطة قلل وبناءك أختار لهم خير الخوال

الـبذرة أكـــيد تسجـــى وتسـبـل وتبـق محمـــي مـــا يقربـها غلال
وإذا تحـب يـدوم مصبحـاك شـاعل ويسـطـع نوره يبان يضوي كم أميال
تمسـك بالكـتـاب والسـنـة وعـمل تستثمـر مـن طيب الخبر الخير أنفال
وتفـقه فـي الديـن بـته تسـتـدل وتعـرف كل أحكـام تفصلها بكمال
وآلـي شيـخ يقول شيخي ليه الفضل والشيـخ بـلا شيـخ كغرس الطبال
عرابـي مـا زال في النظم يواصل يـكتـب فـي الملحـون حكم وأمثال
أمنيتـي ديـوان شعـري يسـجل ويبـق فـي التاريخ ذكرى للأجيال
ونعـرف ذا الجيـل بالجيـل الاول نـاس الحرمـة والحياء وهل الكمال
الكـرم والجـود والراجـل كـافل واذا عهـدوا يـوكدوا لكيـل اكيال
معهـم راح الخـير والوقـت تـبدل وهـذا العصر شحال كثرت فيه اموال
عـم المنـكـر سـاد وسهـل الباطل الخـدعـة والغـش وكثـر الاحتيال
نتصـارح يـا خـاوتـي لاه نجامل واجـب علـينـا ننـدد يـا رجـال
هـذا الوقـت شيـان وبخـس وتبهدل وهمـومه تراكمـت وعـذابه طال
أسـقـانـا مشروب مـر مـن الحنظـل وطـعـمـنا مـكروه كم سنين عضال
تـعـدد فيـها الخـارج والداخـل عـزلـة قـح غـزى عليها ذا الكحال
واختـلـط فيـها الحـابل بـالـنابـل وهـذا الخلطـة مـا يصفهـا غربال
ذا الفـيروس قـوى علينـا واستفـحل وسكـتنـا وحـنـا رضيـنا بالـمحال

والنتيجة أحوالنا حالت كامل كالزرع آلي جاف وتضرر وذبال
وفرض حشه قصيل والجوف مبلل وبعد الحش صفار وتضبب وكحال
صورة طبق لحالنا لو نتأمل اختصرت أوصافها خوف العذال
حشا أهل الجود وأهل الفضائل كل جيل وفيه عظماء ورجال
ماهو قولي على الصقور البواسل قصدي ذوك النسور يا فاهم الاقوال
عارف جيلي فيه من الفخر شمائل وعارف جيلي فيه زعماء وبطال
غير الخلط قوى علينا يا راجل وضعفت أبصارنا والميز قلال
في ذا الأمة الخير يبق متواصل وإلي يوم الدين يبق له نضال
ذا قول الرسول خير الخلق كل وما تفخمني ما تقول الشاعر قال
العاشر في أيام ربيع الأول وألف ربع مية وكاف وجيم ودال
تمت القصيد والمولى سهل حقق طلبي سعيت وبلغت المنال
تحي لأحباب في الصحراء والتل وسلامي نهديه لجميع آلي يسال
والصلاة على النبي عال المنزل محمد شفيعنا خاتم الإرسال[29]

إن الالتزام بالواقع والحديث فيه لا يفارق توظيف النزعة الذاتية, والتي تقودنا بلا شك إلى غرض الفخر, والذي يعتبر الجزائريون ومنهم المستغانميون من أجدر وأحق الناس بامتثاله في قصائدهم نظرا لما تعرفه الجزائر من بطولات ممجدة قادها شجعان حقيقيون, اتسموا

29

بمختلف صفات البطولة والشجاعة من جهة, ومن جهة أخرى القيمة الفنية التي تحملها الجزائر ومدنها من عراقة أرض وتقاليد وعادات, ناهيك عن الجمال الطبيعي الذي حباه الله عز وجل لها, فهي لوحة ربانية وآية في الجمال, تستحق المدح والثناء والاعتزاز والافتخار وهذا في ظل أن شعراء الملحون الملحون من أقرب الأنام إلى الطبيعة, وفي هذا قال الأدباء:

شعر الفخر:

يعرف عبد المجيد عناد غرض الفخر على أنه الاعتزاز بالفضائل التي يتحلّى بها الشاعر أو تتحلّى بها قبيلته, ومن شأنها إعلاء الصيت ورفع المكانة بين الآخرين. وقد تحول الشعراء المعاصرون في الكتابة في هذا الغرض إلى الفخر بالوطن والموطن والإشادة بالتاريخ والجذور.[30]

ويرى الناقد عبد اللطيف ثامر أن الفخر في الملحون قد لاق رواجا واسعا بين شعراء مستغانم وأخذ أبعادا أكبر من كونه شعرا, فصار يقترن بحيثيات تخص صميم المجتمع وهذا في قوله:(وقد نال الفخر عند شعراء مستغانم حظا كبيرا من الاهتمام والعناية كما تعددت جوانب الفخر عندهم من فخر بالنفس إلى فخر بالقوم إلى ففخر بالمدينة, والملاحظ على أشعارهم أن الفخر يقترن دائما بالواقع وأدلته ملموسة ومرئية ويكتفون برونقة ذلك بكلمات جميلة وعذبة تزيد الوصف حلاوة والسامع رغبة في الاسماع كما يقترن الفخر لديهم بالأمور الدينية كحفظ القرآن والصلاة والأخلاق الحميدة, ويرتبط كذلك بأمور اجتماعية كالجود والشهامة, والمحافظة على الأصال).[31]

وكأبرز مثال على ذلك نستعرض قصيدة الشاعر حاج بينين التي يتغنى فيها بأصوله المستغانمية ومنطقة مجاهر, ويعتز بكرمهم وجودهم وحسن ضيافتهم وذلك في قوله:

عز مجاهر

علـم كلبـك ما ينبح فـي لسيـاد

جعبة وحدة يهونها مـول البـارود

درق جاجك كان حضرو خير جواد

30 - عبد المجيد عناد, على عناد، من روائع الشاعر الشعبي, دار الثقافة, ط1 2008م, ص59.
31 - عبد اللطيف ثامر، البعد السردي في الشعر الشعبي عند أولاد نايل, ص01.

أرض مجاهر شايعة بصحاب الجود

وإذا حضرو كان بيهم خير الزاد
وإذا حضـــرو كـــانو أكثـر الجمـــيع عتـــاد
وإذا حضرو سالهم فرسان جنود

مـازلنا كي جددودنا يوم الميعاد

ومازالوا قنطاسنا عالي مرفود

ما زلـنا فـي برنا ندقو لوتـاد

ومـا زلنا طعامنا قصعة العود

ما زلنا وفي برنا يخرج صياد

مايخطيش الصيادة كي جات قعود

متحذري ويدو حط على لزناد

يهداها حتى تجي بر المقصود

يضربها وطيح ولو في لوهـاد

تتخبط ويجيبـها ذاك المقـدود

مـا زلـنا ويامنا بلكل عيـاد

مـازلنا وضيـافنا لابد تعـود

نفرحوا بكبيرنا كي خير وجاد

تاليـنا في غيرنا راهو محسود

يعرفـو لنجوعنا صحرى وحمادة

بـاب القبلة لحبابنا ماهو مسدود

هــاذي خصـلة باقية لولاد ولاد

وهاذي خصلة نشيعوها فالمزيود

عـز مجاهـركان في سيرة لجداد

وعز مجاهر فالوطن ماليه حدود

ومن يمدح فـي مقامنا راه محمود

ومن يفخر ماهوش يمدح في لمجاد

زور مجاهر شوف عينك ذا المنشود

ما نفخرشي غير غصة في لكباد

ولولا شوفة شفتها والناس رقود

ماني شاعر ماقريت لبن شداد

هذي وهبة وساقها رب المعبود

عض لسانك لا تعيد ولا ينعاد

ولا تغتبشي راه شيطانك ممدود

شعر الحكمة:

الحكمة هي فن من فنون الشعر العربي, و يهدف إلى النصح والارشاد والموعظة، وتأتي تعبيرا عن تجربة ذاتية، وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة. فإذا تأملنا حكمة جاهلية مثلا نجدها تصلح لكل العصور، وكذلك إذا تأملنا حكمة أجنية نجدها تنطبق على كل المجتمعات، ذلك لأن الهدف منها إنساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان وينير له طريقه ويدله على ما فيه صلاح نفسه.[32]

والحكمة هي لغة العقل والتجربة، وأكثر شعرها مقترن بالشيخوخة والنضج والتجربة وكثرة الأسفار، فالشاعر الذي يطعن في السـن لا يجد ما يقوله في الغزل أو الفروسية أو الهجاء وحتى الفخر بل يجد الكثير الذي يقوله في الحكمة، فيدعو الناس إلى مكارم الأخلاق والتأمل في الحياة والخلق.[33]

ونجد نماذج عدة على هذا الغرض عند شعراءنا المستغانمين في قصائدهم التي تسعى إلى الوعظ والإرشاد ناهيك عن توثيقهم لمصطلحات الفروسية والبطولة التي تدل على أن شعرائنا لهم بـاع ومعرفة كبيرة بها.

ونستهل النماذج الشعرية بقصيدة الشاعر خالد شهلال بعنوان " الحسينية" والذي يقول فيها:

الحسنية:

رابت احصـــــــــــــــــون واندهست القلاع واصوار المنعة العرب
تاه القوم فالشعب واقبايلها اشتات ما عرفت رتعة

القرن بخوه ينـــــعقب وجيل ينوب جيل في دم البقعة

توثاق اصحيح في زمام اهل الرفعة

غوث العاصي أو من الذنب

[32] - سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي, دار الأديب, ص 5.
[33] - عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب, دار الفكر, دمشق, ط1 1420ه 1999 /م, ص113.

حصراه على سيوف ما صـــــالت مدة غملت عليها الغمود

جار عليها الذل طـــــــــــالت العدة نكست انيوف اجدود

العب الخز فوق ماها كالسدة رجعت ديارها لـــحود

اتعـــــــمر ثوبها طبـب واتمزق فوق جلدها ولت بقعة

ازمان عرسها عقب كثرتلها القبور وسنين دمعة

غوث العاصي أو من ذنب

جملت لمدون والصحاري وبوادي ملكت لقريب والبعيد

من بحر الروم زيد للطرف الهندي حتى لسواحل الجليد

منبع النيل والمصب واشطوط بحورها فلركان الربعة

لدغال الزنج والغيب لمشارف لرض جيهة غروب الرقعة

الطـــاهر طيب النسب صلى الله عليه نرجاوه شفعة

غوث العاصي أو من ذنب

ما لاندلس لصطمبول لبغـــــــــداد تاج على تاج فايـــــــدة

لصوار القدس حصنوها بالجهاد مـــــن جيل لجيل صامدة

لربوع الصين عرجو ذوك الاسيـــاد ملـــــك علـــى ملـــك فالقدا

غيم الحال وانقلـــــــــــــــــب وفاع السخط والمناكر البشعة

ساخت وعلامها انكـــــــــــــــب سبحانك يا المغيـــــث هدن ذ الروعـــة

الطاهر طيـــب النســـــــــــــــب صلـــــى الله عليه نرجاوه شفعة غوث العاصي أو من ذنب

هجنت لنساب والشريـــف تلف جـــدو والوالديـــــــــن فالحشـــــــــــــــود

جاهل الديـــــن فز والســـــوط فيـدو واحـــــكـــم بقـــوة الشهـــــــود

واردمـــــنا القبـــــور مجارف جنـدو ونســـــــينا العهد والوعـــــــود

ويـــن الوليـــة أهل القبـــــــــــب الصوفيـة القطـــاب زعموهم بدعـة

لعروق تشرب الشطـــــب مـــا يثمـــر غـــرس فـــوق جـــدرة مقطـــوعـــة

الهـــــــادي طيـــب النســـــــــب صلـــــى الله عليـــه نرجـــاوه شفعـة[34] غوث العاصي أو من ذنب

ففي هاته القصيدة نرصد العديد من الألفاظ الدالة على الفروسية والبطولة (سيف, غمود, الحصون...) ما يدل على توظيف الشعراء لها في سبيل التعبير عن الدنيا ومآلها في تضمين تاريخي انساق إليه الشعراء بغية توسيع دائرة المتلقين والتأثير عليهم والمزج بين الإرشاد والتوجيه بالحكمة.

ومن جهة أخرى لا تخلو القصائد التي تعتمد غرض الحكمة من الإرشاد الديني، وهذا ما يتجلى في قصيدة بن عبد القادر تواتي: **"يـــا حـــالـــي لا تضيـــق"**:

يا حـالـــي لا تضيـــق مـن الحال إذا حال ولا تحتـر لا تقول حـــالـــي أنا ما له

هـــذا حـــال الحـــال يتحـول رحـــال حـــال يـــحول حـــال ويـحل بداله

[34] - مخطوط شعري سلمه إلينا الشاعر بنفسه.

ودوام البـديـل حـال مـن المحـال حيـن يحـين الحـال تحمـل رحاله

يـا طـامـع فـي دوام حـال الحـال هبال واللـه حتـى حـال مـا دايـم حـاله

والعـاقل تكـفه فـي حـالـه الأمثـال يتمعـن ويشـوف مـن الـقرب قبله

مـن البـارح لليـوم لـو جاء يرد البـال كـذا مـن حـالات فـي حـاله زاله

يـا حـالـي كـفـاك كـف مـن الجـدال تـهوا سك يزيـد للقـلـب أهـوالـه

نبهـتـك كثيـر وأنـت يـا مـزال تعـقـد فـي الحـال وتزيـد خبـاله

لـما ديـما تضيـف فـوق الحمـل أحمال وتحمـل الحمـل مـا فـوق أحمـاله

تحسـب حـالك حـال مـا لـه حـلال وفـي الاحـوال تـظن مـا كان أمثاله

فـي الأحـوال أ مخـاصمـي لو كـان تسال وتقـارن با حـوال حـالوا ونحـاله

تستـغرب وتصيـب مـن فـاتـك بشحال تنسـى حـالك حيـن يشـرح لك حاله

استـعصـم بـالله مـولـنـا تـعـال سبحـانـه الكـريـم جـل جـلالـه

فـوض أمـرك ليـه كـثـيـر الابـتـهال وتـوكل عـليـه حـق اتـكـاله

وتيـقن لا ريـب هـو الذي قـال يستجيـب دعـاء العبـد إذا سـألـه

رقيـب خبـيـر عـالـم كـل كـمـال دب النـمل وما دنـى مـا يخفـى له

اخلـق هـذا الأرض مهـد بـدون حبال وأبـدع فيـها خـلـق ودقـن تفصله

وتـد هذا الكـون كـامل كـل كمـال كـذا مـن صفـات صور وعطـى له

وتلـك الأيـام بيـن النـاس دوال تـتنـاوب كـل يـوم يـأتـي بـداله

إذا سعدت ترفعك تطأ الجبال أسمع للصالحين فيها ما قالوا
وإذا عوجت ما يفدلها تعدال وإذا راحت ما يرجعها ولوا
إذا جات تجيبها شعرة تسهال والباب المسدود تنفك أقفاله
تمشي بينا عاجلة ويح الجهال من غرتهم في هواها ما زالوا
ما جلسوا مجالس الناس العقال ولا عرفوا ديانتهم ولا سألوا
ولا قاموا بواجبة ولا خصال ما ضفوا ما ضيفوا ولا جالوا
ما تابوا من ذنوبهم منهم كهال وعيب الشيب إذا بق عبد أهباله
أسمع لي نوصيك كان بغيت تنال دير الخير و زيد بادر بخصاله
عند الشدة توجده منقذ دلال ويا سعد ألي دار الخيرة دلاله
وتمعن فى كتاب ربي ماذا قال وقرأ في التفسير تعرف تأويله
طه ص وقاف وقبلهم الأنفال الطور والحديد والملك توالـه
القّلم وزيد عم والزلازال فيهم فضل كبير لو كان تناله
تعرف هذا الكون كي مبني بكمال ذا العشرة يكفوك لا حد تساله
عرابي من حال ذا الحال البدال حاول في الملحون ينظم أقواله
ما أنا شاعر لا فقيه ولا مثال غير كلام يبان نشتي تسجيله
ونذكر أجالنا كي فكري جال في الجيل ألي فات وفنوا رجاله

نـــاس العهــد والوفــاء والكسب حلال الكـــرم والجـــود والنيـــف أبـطـالـــه
الصفاء والصـدق فـي القــول والافعال والنـيــة مـنـــارهــم بـهـا نـــالـــــوا
مـــا هــم حـــالــه جـيـلنـا عايش تختال عـــاب بـكـل عيـوب وقـوات أدغالـه
صـــارت نـاسه عـامدة في القيل والقال والحـديـــث يـدور مـــجـــرد قـالـوا
فيه الصدق قليل والافك بالارطـال وحديث الصواب لا من يصغى له
ذا يبـــاهي بالنسب هذا بالمـــــال ولفضـــه أنا سبـــاب ضره وعلاله
ضعاف ينادم صار حاله ادنى حال مايفرق حتـى حرامـــه من حلالـه
كالغرس آلي خاب وتضرر وذبال وفسـد ثمره طـــاح وغصانه مـالوا
هذا الوقت أخوتي همـــه كي طال ساءت بأسوا سوء ومحانه صالـوا
كمشه قمح تخالـطت مـع النخال وضـرب فـهم ريح عاصـف برماله
وإذا تتعب في صفـــاها بالغربال الصنف الصـــافي وين تجبر كـــيله
نختصر من خوف تعقيب العذال والهمازة في القـفا وآلـي يخـــالوا
ذا يجسس ذاك بلسانه نهـــــال وذا تـــمرد ذاك خائـف من خياله
فيهم كم أصناف جبنـــاء وانذال وفيـــهم من الي تقول للخـيل خواله
نعتـذر لكان بالـــغت المقـــال فـــي ذا الجيل رجال خصلة ما زالوا
عند الشدة يا خســـرة جاو قلال تتـعب باه تصيـب واحـد بخصاله
يوم الطاء والشهر عد عداد الدال عـــام الغيـــن ثنـين وثنيـن تـواله

أرخت القصيـــــد ونسبته للحال وحالـــي فـــي الأحوال عرفتـه حـاله

يا ربي بجاه خـــاتم الإرســـال أستـــر هـذا الجيـل وصلح أعمالـه[35]

و يقول الشاعر بن عبد القادر تواتي أيضا:

الحمد الله هي كلمتنا

الحـمـــــــــــــد الله هـــي كلمتنـــا والي يخالف عهدها ما عـنده ويـــن

أعـــوذ بالله مـن قولة أنـــا هـــذا القـــول سبـــاب لبليـس العين

ذا الكلنـة بسبـــابها صار عدونـا ما ينســاش دوام ما دمنا حيـــين

غلـط آدم خرجو مـــن الجـــنـة في صـــاروا في الدمـاس لا دنيا لا دين

غـلط عيـــط ناس راهـــم في الهنا في الدنيـــا مـازال طامع في لخرين

ربي مولـــى خيـر قـادر يرحمنـا مـــن يرجـع هـو خيـار التوابيـــن

النيـــة والايمـــان هما قـــوتـــنا حســـن التربية حـــق الوالديـــن

فـــي عـــدة ايات ربـــي وصانا صاحبهم معـــروف مـــا بين قوسين

نعنذر اذا كـان انقصت المعنـــى بالنســبة تلميـذ عنـد القـواليـــــن

نحمـــد ربـي اليوم وفـــي منيتنا زارونا لحبـــاب بيـهم مســروريـن

زارونـــا لحباب مـن كـل مدينة شبـــان او شـــابـــات مشايخ زينيـن

[35] - مخطوط شعري سلمه إلينا المرحوم بن عبد القادر تواتي عنة طريق الشاعر حاج باينين.

علمـــا وشيـوخ زاروا بلدتـــنـــا ستـــما بـالـتـــــا دال ولام وسيـــن
فـــي هـــذا البلدة اليـــوم اجتمعنا او وقفنـــا للخيـــر رب العـــالـمـــين
انـرحـب بالضيوف هاذي عادتنا تحيـــــة وســـلام ليكـــم بالألفيـــن
متفـــــاءل بقـــدومكم شـــرفتونا كـــي فرحتـونا نروحـــوا فرحـــانيـن
انتـــومـــا ملهيـه واحنايا منـــا نحيـــو ذا التـــراب يتمكن في الحيـــن
نتحـــداو نـــرجعـو أصالتـــنـــا ونحـــارب مـــن صـــار يتعبث بالديـن
والشجـاعة للعـــرب أهل القمنة مـوروة مـن عهـــد جـد الحســـنيـــن
مشـــايخ وأهل الزوي علامتنا وللي الســـر كيـــل الصـــلع بصـــاعين
هـــا مجـــمع خيرراه اليوم هنـــا أهل الدنـــيا سعـــاو نحلـــف لك بيميـــن
مـــن يتعـــدا بكلمتو يغتـــب فينـــا ممكـــون ومنقـــوص مـــن عقـــلو مسكين
ربي يتـــوب عليـــه ويتوب علينا ويتـــوب علـــى كـــافـــة المسلمـــيـــن
بأهلـــه الجـــود مشرفة معرفتنا وحنـــايـــا للـــكـــل جـــزائـــريـــن
انقـــدم ليـــكم مستـــغا ولايتـــنا فيـــها شعـــراء وليـــها فنـــانيـــن
نـــاس مجـاهر من قصدهم يتهنى الكـــرم والجـــود بيـــهم مشهوريـــن
العلما وأهل الزوي والحفنـــــة خـــالف عـن أسلاف مـــن عدة سنين
عبـــد الله وسعيـــد يلقـاو الشحنة هذي هـــي بـلادهم نعمـــا الجـارين
تتبدل كاليـــوم عسة مضمونـة هـــاذو عقـد القنتـــرة والرأي متيـــن

سيدي يوسف بن هيبة في اللجنة والمجموعة ارباعتو حكام اخرين
خيمة بتكوك بالسر مولانا لولاد او لحفاد ديما مستورين
ارزقهم ربي كبيوت الرمانة من كل كوان عامرة بثمار بنين
كلام الله كالعسل زين البنة رحمة للموتى واشفي للحيين
الكاتب هذي لبيات الي قلنا بن عبد القادر تابع طريق اليمين

متنى زورة شوار المدينة وأنادي لوقات ما فوق الربعين
المصطفى نزور قبرو نتهنا أنفل في روضة ومسجد قبلتين
نحرم ونادي الفرض مع السنة انبلى بجهار بين الحرمين
مناسك الحج فيهم نتمنى بقدرة ربي ان شاء الله قولو امين[36]

ويقول الشاعر الحاج بينين:

شفت منام

وما باقي لي واش نطلب مسالة ما باقي لي فدنيا واش نقول
ساكن همي صيفت ما هي حالة راني دالة بين عضايا مخبول
حال الدنيا كي تمد دالة دالة رسم ابنادم ولعقل قولو مهبول

[36] - مخطوط شعري سلمه إلينا المرحوم بن عبد القادر تواتي عنة طريق الشاعر حاج باينين.

صـــال وجـــال وعـاد فيها رحالة واحـــد زهرو جابها كامل مكمول
سوق البخـــص وما سلك مالجمالة داور بيـه يصفقـو هدرة معسول
وقـــت الصـــح يصاو بوه الرجـالة زوج حروف معاودة كي قالو قول
ملهـــــوال يـــفكـــها ذ لمقـــــالة واذا عكست ياك لازمها مرسول
وصـفهم يـــا صـاحبـي ذلحثـالة واش يسلك الحاصلة من فم الغول
يحســـب فالبيـض قصـــر الشلالة فالظهرة مـاكان يعرف بر قـزول

شفـت العكلي ركب فارس خيالة شفت النـوق يرمـوه بلا مخلـــول
هـاين عمرو دارهـا نعت نعالـة شفت الرادي عاشها عيشة المذلول
شفـت الجايح دار فالرقبة حالـة شفت الدنيا فـي منامي شفت الهول
شفـت هواها جاب دمعة سيالـة شفت الغادي عازها وقت المرحول
أصـل القمرة زينها بيدي هـالة هـذي شمس وطوعتـها فـي أيلول
بكـــي المحنة يعايروه الرجـالة نـــاح القمـــري علخلـد الي مبلول
مرســومة مالعيـن بسمة قتـالـة كمـــن عاشـق حي فالكبدة مقتـول
مســـروقة مالعيـن بسمة قتـــالة هذي شوفة شافها في وقت النزول
شـد سـلا متك يسيبوه الرحالـة دار الحول بقى مرسمها معزول
راكـب راسـو ماهوشي من والا واحد فالعـز حاسبو محال يزول

العيـن الحمرا باينة لذوك السلالة خيارالسوق يشري شرية مكمولة
وقـتــن تقصد مـا يقلكشـي لالا شاعل نارو بابو لضياف محلول
سـول يعطوك ذا تاريـخ فصالة خيمة حمرة منصوبة ربع فصول
وشفـت قصايدي كابرة فالمشتالة مول المال يسوقها كامل مجمول
مـا دا منـــها غير قطعة محوّالة القليـل بخيـبتـو طايح مشلـول
آش يديـر اصاحبـي في ذلحالة كلّ هّـم يصبـرو شـدة وتـزول

وشفـت قصايدي كابرة فالمشتالة شفــت حـروفـي واسمي مجهول
واد شلــف يجيــبها فـي عجالة شفـت السـدة دايها ذلـواد الغـول
حيـن بكيت ما رضيـت ذا لمهزلـة شفت كلامي راح ورجعلي مقتول
أرض مجاهر من بكـري مغلالـة شعري زارعوا في أرض فحولة
وسلامـي لحباب فـي كل عمالــة طايع شيخي ومازال منقول
واللقب باينيــن مالجــد سلالـــة اسمي من مكة كي جاني مرسول
محمــد اصطفــاه رب الجلالـــة والصلاة عـلى نبـي ذاك الرسول
خرجــنا للنــور بعــد الظلالـــة سيــد الأمــة سيــف الله المسلول
بالدعـــا لسامعيــن والحمدالـــة ربـــي يا إلـــه نخـــتم هاذ لقول[37]

[37] - قصيدة مخطوطة سلم إلينا الشاعر حاج باينين.

وما يلحظ أن كل القصائد الماضية جمعت بين الحكمة والإرشاد، إلاّ أن هذا الأخير قام بذاته كغرض في بعضها, حيث طغى عليها ما يسمى بأسلوب النصح والإرشاد ومن مثل هذه القصائد:

الوصيـــــــة

يقول الشاعر: "جاءني ابني ذات يوم فقلت":

وادرك مخ الحديـث يا ولـدي تنعـم ســـاير ليـــام وانتـفع

مـن جيل لجيل مـا غبـر حســه قايـم الحكمـة ســر ينتبـــع

عللـــــى معنـــاه يـــا ضنيـــني تتقيـــم منـــو نوفيـــك بالطبـــع

ســـاير ليـــام وانتفـــع

واغنـــم وصفـــة مجـــردة ســـاير حالـــى اليـــوم مادام بجهـــدو

عمـــري فالـــروح شـــادة لعللـــى ما نتـــم عـامـــى وانعـــدو

ميثـــاق المـــوت حق ما يبلـى عهـــدو يهـــــــدف بـــلا مواعـــدة

يعـــلم الله حـالها في وقـــت اللـــم الخلـــق ارواحـــــها اودع

واعزم على الفـــروض واحيا بالازم اولـــدي عـــف تنشفـــع

ســـاير ليـــام وانتفـــع

وحبـــاله ويـــن شـــــــــــــــادة امهل على الحبيـــب واقرالـــه ودو

ونوى صحـــبة اذا بـــــــــــــــدا من لا درتـــو حبيـــب لا ديـــروش عـــدو

ما يجري واد من النـــــــــــــــدى عـــز الخلان ما يمـــد الا وجـــدو

فالله اوفى اركانـــها واحـــذر غـــاشـم العشـــرة ملـــك ينصـــــــــــــــنع

بانيـها للنفـع يعشـــر ويخـــاصم ما حـل كتـاب مـا ركـع

ســـاير ليـــام وانتفـــع[38]

وقصيدة أخرى بعنوان: **يـــا شبـــاب اليـــوم**

يجزيـك من القيـــل وافطن ماالسوبـات يسيلنـــي كان تصغلـــي نوصـــك

ملك أجدادك أرضـــهم مـن دهـــر فـات متسعفش الغيـــر واطنـك راه ليـك

وحـــض بلـك مـن اخريـــز المقلـوبـات قـــرر وانت حر خير من يرضيـك

واطنـــك يـــرج فيـك عديـــه اتقوات تقريـــر المصيـــر راه بين ايديك

حقـــد قلـب مـــلان ميـن هيـهـــات الاجنبـــي مقابـلك يضـحك عليـك

المـــؤمـــن مـــا يخـون ولـــو بالممـات اذ تسعفن خـــوذ راي لـــي بكيـــك

واســـع لـــي انفـرك فـي ذو الأبيـــات من يضحـك لك راه من الكهف يدربك

نتحـدو الجـهـل تنسـو لـــي فـات يشبـــب اليـوم من الغلـــط يجزيـك

استيقـض مـــا لنـــوم يجـــز بركـــات يشبـب اليـوم راه الدرك اعـليـــك

ذا البخيـــره اتخوصـــها امكنيـــات يشبـب الـواد ذ راه يـدريـــــك

هـــذا العـــدو اتناشرت فالارض مشات يشبـب المـرض ذا راه يعـــديـــك

كـــان سعـــفت يـــوصلك لا التهلكـــات يشبب راي ذا راه يـــأذيـــــك

[38] - مخطوط شعري أمده لنا الشاعر باينين.

جـــدك او ببـــاك غمـــر بالحـــيـــــات يشبب أنـــت الاوم اعلـــــيـــــك
متنسش اخصـــايـل بعـــد لـــي مـــات الحـــرية جـــابه واهداه ليـــــك
عـــز الأم اولادهـــا نعطيـــك انعـــات الجـــزيـــر كـــمل تستن فيـــك
حمـــلتك با سبـــابـــها ريـــت الحيـــوت يـــا عـــقل ذا المميتك ربـي يخليك
ميـــقدر وصـــاف عـــز الامهـــــات أصل الأم احليـــبها به اتغذيـــك

تجفـــرها وتـــروح كـــلي مـــربـــات متنســـش ديـــما مشغـــولة بيـــك
خيـــــر وطـــنو اتعـــاكسه الأمنيـــات هـــذ وطنـــك يالعقل هو ليـــك
نشـــكر ذ الأم ربـــــات أو قـــرات شـــان الوطن اعزيز كما وليـــديك
تنـــس كـــل اهمـــوم تسمـــح فالي فات اذ طعت الحـــبها بـــه اترضـــيك
تـــرومـــن الأمـــرار وتزيـــدك الايعات اذ خـــنت احســـانها راه ترمـــك
يعـــز لك وايكرهـــك للـــمخـــلوقـــات كـــان اعملت الشر هـــو يبد بيك
يصرالك كـــي بعـــض فالوقـــت لـــي فـات ولي يكون اصديق من بعدا يعدبك
غرتـــهم الأيـــام صـــار وكـــل شتـــات كـــانو قـــوة ايقـــاوم ضـــد الابيك
نترجـــو اقصـــالهـــا للحـــرث اتبـــات مـــن يدع راه باكلـــمو يغويـــك
مـــا فـــنـــا بنيـــا بـــلا ســـاس تعـــــلات مـــا شفـــنا رايـــة علات بلا ماليك
مـــا شفـــنا حكـــما بـــلا حـــاكـــم سجـــات مـــا شفنا فتوى بلا عـــالم يوريـــك
مـــا شفـــنا شي حـــي راجـــع مـــن الأموات مـــا شفنا ممدود في النعش يناديك

مـــا شفـنا مـــوكا علـــى البـاز تقـــوات ... مـــا شفـنا عقبـان خـوفهم الديك
مـــا شفـنا بقـــــرة علـــى اللـى تعـــدات ... ما شفنا سلحفاة طار يحوم عليك
مـــا شـــفـنـاش الريـــح يبنـــي عمـــارات ... ما شفناش طبيب بالكذب يداويك
مـــا شفـــنا جيـــــفة بـــأذن للصـــــــلاة ... ما شفنا صـــوان بالطعم يغذيك
مـــا شفـنا حصـــــان يجـــــي بالتلـــفت ... مـــا شفناشي مالح اللذة يسقـيك
مـــــا شفـــنا نمـــــام حقـق معجـــــزات ... ما شفناشي جاهل العلم ايقريك
هاذ الدنيـــا حـالهـا عنـــــدو نـــوبـــــات ... هذي هي اوصايتي بها نوصيك
مـــوحال اذا تكـــون عنـــدك معلـــومـات ... نوبة ترغيض نوبات اترضيك
اتـــرك قـولـــة قـــال واطـــلب النـجـــاة ... كان اهداك الرب وبغيتو يبغيك
واتهـلا فـي الديـــن واحســن خمسا اوقات ... واخـدم ربي وطيع لامك وابيك
عزيـــــز الجبـــار يغفـــرلي مـــا فـــات ... رب العـزة خالقي ما ليه شريك[39]

تكاد تكون هذه بعض قصائد الشعر الملحون المستغانمي المخطوطة التي تحصلنا عليها من لدن شعراء من مدينة مستغانم، ونعمل جاهدين للحصول على أخرى وفي أغراض شعرية متباينة ومتنوعة. وهذا حفاظا على هذا التراث الثقافي الذي يمثل هوية مدينة مستغانم خصوصا والجزائر عموما. وعلى هذا فنحن ندعو كل المهتمين والمختصين، وكل من له صلة بهذا الفن الشعري إمدادنا بما تيسر له من قصائد لجمعها وتصنيفها، وإخراجها في شكل أنطولوجيا، حتى تبقى مرجعا تراثيا وثقافيا يعبر عن هوية الأمة.

[39] - مخطوط شعري للشاعر نفسه.

الفصـــــــــــل الثـــــــــانـي:

مقاربة أسلوبية لشعر حاج باينين أنموذجا

1- المعجم الشعري(الحقول الدلالية)

2- الرمز

3- التناص

أولا: المعجم الشعري في الخطاب الشعري عند حاج بينين:

ليس من شك في أن لكل شاعر معجمه الخاص به، يقترن بتجربته الشعرية ومواقفه الوجودية ورؤيته للحياة. والمعجم اللغوي لأي مبدع كان هو ابن بيئته، فالمجتمع والبيئة لهما تأثير على معجم الشاعر اللغوي.[40] وقد آثرنا أن نقف على معجم الشاعر بينين من خلال الحقول الدلالية التي يكتنزها شعره.

1- الحقول الدلالية:

لقد حظيت مسألة الحقول الدلالية باهتمام الدارسين اللغويين المعاصرين، ذلك إنها قدمت حلولا لمشكلة "الفجوة الوظيفية". والمقصود بالفجوة الوظيفية: انتفاء وجود الألفاظ المناسبة لشرح فكرة معينة أو التعبير عن شيء ما.[41] ويتحدّد البعد الإجرائي للحقول الدلالية في كونها تعمل على تجميع المفردات اللغوية بحسب السمات التمييزية لكل صيغة لغوية، مما يرفع اللبس الذي كان يعيق المتكلم أو الكاتب في استعمال المفردات التي تبدو مترادفة أو متقاربة في المعنى، فتوفر له معجماً من الألفاظ الدقيقة الدّالة التي تقوم بالدور الأساسي في أداء الرسالة التواصلية أحسن الأداء.[42]

والحقل الدلالي كمّا عرفه ستيفن أولمان هو(قطاع متكامل من المادة اللّغوية يعبّر عن مجال معين من الخبرة اللغوية).[43] وهو عند جون لاينز:(مجموعة جزئية لمفردات اللغة).[44] بينما يعرفه أحمد مختار عمر على أنه (مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها).[45] هو إذن، اجتماع ألفاظ تحمل معاني ترتبط فيما بينها، وتتشكل في لفظ واحد تشترك فيه دلالاتها. واللغة العربية تتميز بثراء مترادفاتها، تتقارب دلالاتها، وتندرج ضمنها مجموعة من الألفاظ المكونة لها.

وإذا جئنا إلى الشعر الملحون عند حاج باينين، فإننا نجده ثرّ المعجم الشعري، ومتنوع الحقول الدلالية. وقد حاولنا في هذه المقاربة تتبع أهم هذه الحقول من خلال الألفاظ المكونة لها:

أ- حقل الإنسان وما يتعلق به:

---

[40]- راشد الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004، ص111.
[41]- المرجع نفسه، ص111.
[42]- المرجع نفسه، ص112.
[43]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص79.
[44]- نفسه والصفحة نفسها.
[45]- نفسه والصفحة نفسها.

يضم هذا الحقل كل المفردات التي لها علاقة بالإنسان، بدنه وجوارحه، وكل ما يرتبط به من أرحام، ولعل الشاعر قد وظفها لتصوير الأحاسيس والمشاعر وتحويلها من معنوي إلى محسوس، فالقصائد التي تناولت هذه الدلالات ذات أبعاد رمزية واضحة. ونلحظ ذلك في قصيدتي: "جزاير حرفي" و"جزاير".حيث رمز الشاعر باينين لوطنه الجزائر بامرأة يتغزل بمحاسنها المادية، وجمالها الروحي، واحتاج لذلك إلى زمر مفرداتية تشكل كلاّ دلاليا واحدا لإقناع المتلقي. وقد أثرنا أن نلملم هذه المفردات التي لها وشيجة بالإنسان في جدول. وننوه على أننا اخترنا قصائد تخدم الغرض، وبما تتشكل فيه من حقول دلالية واضحة المعالم:

القصيدة	الألفاظ الدالة عل حقل الإنسان
جزاير حرفي	محاسن، لوصاف، الضلوع، عضايا، طرافي، سرارها، اللسان، منامي، لابسة، كلام، مسلم، باينين
جزاير	كبادي، تنهادي، بسمة، فؤادي، فمي، دمعة، جدادي، ولادي، سيادي، سمرة، النسا، روحي، الكبدة.
زلة حب	قلبي، ايديّا، النيّة، عينيا، مهبول، جوارحي
خذلان	مقامنا، سكارى، مول الصيد، الحاذق، الدم، المظهر، لمتاصل، محمد بلخير.
عرّافة	كفي، كذابة، شيوخ، حباب، قصابة، بوجلابة، طلابة، حلابة، بني.
الشوق إلى البيض	لخبار، ناسو، رحالة، غادي، متهوّل، خاطري، الرجّالة، أهل النيف، ابطال، خيالة، فرسان الكلمة، مرسول، سلامي، لحرار، سلاله، لمولاي، سايح، ولد، الأصاله، ناصر، لخضر، المغبون،
الصاحب	حبابي، المراسم، عيون، ولد النسبة، الثرية، عبد، شاعر، لكبار، قناديز، حضار، العليل، محمد صلى الله عليه وسلم.

ولعل ما يلاحظ على هذه الحقل الذي يتعلق بالإنسان، هو توظيف الشاعر لكل المفردات التي لها علاقة بالإنسان، جسدا وروحا، أي ذكر للأعضاء والجوارح. فضلا عن توظيفه مفردات تشير إلى الأقارب والأحباب(ولادي، أمّنا، جدادي، قناديز، حبابي...).

ذي روضة حاضية سر ولادي والكلمة قالها شاعر وغـــدى

يا قسمة وارثة أصل جـــدادي يا قصة خالدة هذي مـــــــدة

جزاير أمنا زيديـــنا تشـــراف شَرْفِيْ لأَلاَّ مولاتـي بشـرافي

ويا حسراه على حبابي في لمصار صدو عني بلا سوال وما حاروا

يا ما قالو في حمـاها ملشعـــــار وقناديز الطايـــــعة فيها ساروا

والمتأمل في قصيد الشاعر باينين يجده يخلع عليها صفات الشجاعة والمروءة والأنفة، ومنها: (الحاذق، الرجالة، أهل النيف، أبطال، خيالة، لحرار، الأصالة...):

متهول خاطري مجروح مهوض شاتي نوصلهم ذوك الرجـالة

ذوك اللي عزهم ماهوش معوض أهل النيف أبطال كبرو خيالة

يا مرسول دي سلامي متحفـض مجاهر لَحْرار ولْعَـــزْ سلالة

ويمكن أن يضم حقل الإنسان أسماء الأعلام والشخصيات:(ناصر، لخضر، محمد)، ونمثّل لذلك في قول الشاعر:

لخضر لا تنساه شِعْر كي ينبَضْ سايح في لبْـــــرُورْ ولد الأصالـــة

طواع الملحون للحرف يروّض قصدي لنّاصـــر ولـد الرجالة

وينضاف إلى ذلك؛ لقب الشاعر الشخصي الذي يختم به قصيدته، ويأتي الشاعر على ذكر لقبه خشية أن تتعرض أشعاره للسرقة والنهب:

باينين نـــــاظم حـــــروفي موهِبَـــــة ما هي تكليـــــف

2- حقل الطبيعة:

استأثر شعر حاج باينين بالطبيعة، إذ لا تخلو قصيدة من حضور مظهر من مظاهرها، أو عنصر من عناصرها، الحيّة أو الصامتة على السّواء. ومردّ الأمر في اعتقادنا، الحسّ الرومانسي الذي يطبع شخصية الشاعر، والعاطفة المتأججة التي ينضح منها شعره، فهو ينزع دائما إلى الخيال ويفرّ من الواقع، ويفضل الحلم على الحقيقة. فكأنّي به يردّد مع جان جاك روسو:(لو تحولت أحلامي إلى حقائق لما اكتفيت بها، بل لظللت أتخيل وأحلم لا تقف رغبتي

عند حدّ لأني لا أزال أجد في نفسي فراغا لا يشرح ولا يملؤه شيء، إنه نوع من انطلاق القلب إلى مصدر متعة لا علم لي بها، ولكني أحسّ بحاجتي إليها، بل إنّي لأجد في ذلك الانطلاق نفسه متعة، لأنه يغزو جوانب نفسي بشعور قوي كلّ القوة، وبحزن عميق يجتذبني إليه").[46]

فالطبيعة في شعر باينين تشكّل بؤرة الجمال والسّعادة، وإيقونة النقاء والصفاء، ورمز الانعتاق والانطلاق، ولذلك حفلت قصائده بالمفردات الدّالة على ذلك؛ ولاسيما قصائده: "جزاير"، "جزاير حرفي"، "الصاحب"، "هوس الشعر"، "نبكي حالي"، لأن الطبيعةَ بالنسبة له هي بمثابة الخلاص له من الظروف الحياتية القاهرة، وتصاريف الحياة المعقدة، ومن ثم اتّخذ منها ملاذا وملجأ تخفيفا من آلامها وأحزانها. وقد تأرجح الحقل الدّلالي فيها بين الكون الطبيعي الحيّ والصامت.

يوضح الجدول الآتي الألفاظ التي تضمنت الكون الطبيعي الحي، والطبيعي الصامت:

حقل الكون الطبيعي الحي	حقل الكون الطبيعي الصامت
نحلة - يالبة(اللبؤة)- غزال بري - الطيور - الشاة - بعير - حمير - الغابة - غراب- الكلاب- لرْيَام(مفرد رئم أو ريم بالتخفيف).	وردة - شجرة - قمرة - وردة - روضة - الموجة - نخلة - واحة - صحرا - نار - رمادي - الوادي غصن - بدر - الهلال – الغيث – مشرب - شمس ودية - نهار - الثماد - العنبة - سحابة - التراب - أرض- البحر - الدفلى(شجرة مرّة) - الشوك - شطوط المالح - رمال - جبال - حجرة.

فالملاحظ أن الشاعر باينين جمع بين المفردات الدالة على الطبيعة الحيّة والدالة على الطبيعة الصامتة، ومن هذه المفردات يتشكّل الحقل الدلالي الذي يسهم(في الكشف عن طبيعة الألفاظ التي تشيع عند الشاعر، والدلالات التي تقترن بها، فضلا عن علاقات مكوناتِ كل حقل بعضها مع بعض، ممّا يمكن يفضي إلى جوهر المعنى).[47]

[46]- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص64.

[47]- أماني سليمان، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، ص177.

ولعلّ ما يستنبط أيضا، أن الطبيعة عند الشاعر تميزت بعدة طوابع، منها الصحراوي، والرعوي، والشتوي، وهذا يتبدى من خلال الألفاظ التي استخدمها في قصائده كلّها، وبحسب السياقات التي قيلت فيها القصائد. فالطابع الصحراوي مثلا جسدته قصيدة "الشوق إلى البيض":

جيبـــولي لخبــار كي راه البَيَّــض ذاك البرْ اللّي نـــاسو رحـــــــاله

ذوك اللّي عزهم ما هوش مْعَوَّضْ أهل النيـــف ابطال كبرو خيـــاله

خيمة منصُـــــــــــــوبه بشعر اتلَفّض فرسان الكلمة من كلّ عماله

في حين نجد الطابع الشتوي مجسّد في قصيدة "جزاير"، ويظهر من خلال الألفاظ الدالة على الاخضرار والأمطار: (وردة، شجرة، روضة، بحري يهيج،...)

3- حقل السماء:

وتشكّله الوحدات الدّلالية الآتية:(القمرة، الشمس، البدر، الهلال، السحاب). فإذا جئنا إلى استخدامه لفظة **"القمرة"**، والتي يقصد بها ضياء القمر. **والقمر**، كما هو معلوم، ظاهرة سماوية يبرُز في الليل، ويعدّ المكان الوحيد خارج الأرض الذي وطئته أقدام البشر، حسنه وإشراقه يخطف الأبصار، ولولاه لما استمرت الحياة على الأرض تقريبا. يستخدم في الغالب للدلالة على النور والأمل. وقد حظي بمكانة بالغة في الأدب العربي، فصيحه وملحونه.

وقد تواتر توظيفه في شعر باينين في قصيدتي: "جزاير" و"جزاير حرفي"، أي في القصائد التي رمزت إلى الوطن، الجزائر الحبيبة. ولعلّ من الدّلالات التي حملها في القصيدتين: الوطن، الأمل، النصر، الحياة، الانعتاق.

يا قمرة ظاهرة وسط نشـــادي من حسنك فارحة ذيك الوردة

والفرحـــــة هاربة فيك تنـادي منك ليك سرها هم الوحـــــدة

ويقول في موطن آخر:

شق القمـــــر درقَتْ تخفّي حين رجعت ما لقيت وصيف

ونجد الشاعر إمّا أن يوظفه باسمه المعروف "القمر" أو في إحدى حالاته التي يكون عليها، كالهلال، وهو القمرُ في أَواخر الشهر من ليلة السادس والعشرين منه إِلى آخره:

ضَيْ الهلال درتُ خلفي مسهّدني جرحي ونزيف

وفي موضع آخر:

بيضة ولابسة ملخضر زين راف زيد نجمة وهلال تنظم قوافي

أو يستخدم لفظ "البدر"، وهو القمر ليلة اكتماله:

مثلتُ بدر الـــــــــــــــــوافي بنوارُ في ليلة صيـــــــف

والجدير بالذكر، أن القمر ورد في شعر باينين بشكل ترميزي، فالشاعر استفاد من هذه اللفظة للدلالة على المفاهيم التي تتمحور حول الوطنية، والانتماء والهوية والإعجاب بنعم الله التي رزقه بها. كما وردت لفظة "قمر" رمزا للمرأة، تنير دروب الرجل الحالكة، وتشعّ نورا فيضيء المجتمع جميعا. وورد القمر، أيضا، رمزا للمعلم في أبهى صوره، يحترق كالشمعة ليضيء غيره.

قمر الليل يساعفك حشمة ينزاح وتْخَفَّفْ حُومَّانها شمس الأصيـــــــل

ما جيتي قمــرة اطلّي وتصـدّي وما جيتش شمس الغروب عند عشية

وأمّا الوحدة الدلالية الثانية التي تدخل في حقل السماء، فهي **الشمس**. وقد تعامل معها الشاعر بوصفها رمزا منتجا، حيث رمز إلى الوطن بخَوْدِ بهية ناعمة أشبه بالشمس في نورانيتها وجمالها. وقد(تحوّل الرمز إلى لمحة دالة تكثّف المعنى وتختصر الدلالة، فهو لغة إيحائية يلجأ إليها الشاعر ليُفصح عن تجربته الشعرية والشعورية).[48] يقول الشاعر:

مثّلتُ شَمـــسْ حْـــــرُوفي كي طلعتْ مَنْ بَعدْ كْسيـــفْ

ويقول:

قمر الليل يساعفك حشمة ينزاح وتْخَفَّفْ حُومَّانها شمس الأصيل

وأمّا الوحدة الدلالية الثالثة، فهي **السحاب** وهو من مخلوقات الله في هذا الكون العجيب، وهو ظاهرة جوية مائية، وقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، بشكل صريح أو بمرادفاتها، كما في قوله تعالى:(**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ**

[48]- علي عبد الحسين جبير، تبدل دلالات الرمز الواحد في شعر المتنبي "الشمس أنموذجا"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ج1، ع58، ص644.

يَسْتَبْشِرُونَ).[49] وفي قوله تعالى:**(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ).**[50] وقد ورد في موضع من القرآن الكريم بغير لفظه الصريح، وإنما بمرادف له، وهو لفظة **"المعصرات". يقول الله عز وجلّ: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا).**[51] وقد جاء في تفسير "التحرير والتنوير" للشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن **"الْمُعْصِرَاتِ"**: بضم الميم وكسر الصاد السحابات التي تحمل ماء المطر، واحدتها معصرة اسم فاعل، من أعصرت السحابة إذا آن لها أن تعصر، أي: تنزل إنزالا شبيها بالعصر.[52] ووردت في قوله أيضا: **(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).**[53]

ولقد وظف الشاعر باينين لفظة "السحاب" أو "سحابة" في قوله:

وتْجُـــود مَلْغِيـــــمْ سْحَـــــابَة يروي ما تحـــــت التـــــراب

والحق أنّ **"السحاب"** لطالما كان ملهم الشعراء، ومنبع أحاسيسهم المتدفقة بالحنين ورقة الشعور، وعنوان الصفاء والنقاء، ونبع الخير، ورمز العطاء، يحضر معه الجمال والأنس والحبور، ويخل في القلوب البهجة والسرور، والانشراح.[54] وكذلك نجده لدى الشاعر باينين، ولعلّ الشطر من البيت يبيّن ذلك، فهو يروي من خلال المطر الذي ينزله التراب، الذي يخرج الحَبَّ والزرع الأخضر، فالدلالة ههنا هي دلالة الخصب والاخضرار والثمار، ومن ثم ترتاح القلوب وتنشرح، وتحدث الأريحية.

4- الحقل الديني:

ويحوي هذا الحقل كل الألفاظ ذات الدلالة الدينية، أي كل ما له علاقة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف. فالشاعر نشأ في بيئة دينية إسلامية محافظة ملتزمة، فضلا على أنه ينتمي إلى سلك التربية والتعليم، وهذا انعكس على شعره، وجعله يستخدم ألفاظا قرآنية، وأخرى مستمدة من أحاديث رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم، ولا ينطق عن الهوى.

---

[49]- الروم/48.
[50]- النور/43.
[51]- النبأ/14.
[52]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص25.
[53]- النمل/88.
[54]- خلف العتيبي، السحاب.. مُثير الحنين، ومُلهم الشعراء، ومصدر الأشواق، جريدة الرياض، أغسطس 2016

ويمكن أن نرصد ألفاظ هذا الحقل في الجدول الآتي:

القصيدة	ألفاظ الحقل الديني
هوس الشعر	مولانا- سبحان- القاهر- الصلاة- صلاة عليك- الشريف الطاهر- لله- الرحمن.
نبكي حالي	بسم الله- سيد الخلق- الهادي- المصطفى- سبحانه- متعال- غني- قدير- الشرك- قارون- فرعون- الدين- الإيمان- الحرام- حلال- هواك- الجار – نظلم- الحمد لله- القسمة- القناعة- تنجى- الخير- الشر- سورة- لنفال(سورة الأنفال)- النبي- محمد- كافة- ترحمنا- القلوب- تتصافى-
عيد المرأة	رافع السما- العصا- تسعى حية- شفيع الخلق- سيد البرية- نبينا- تحية- سلام- رحمة- الإله- البشرية- الوأد- سورة- التكوير- تشهد- الآية- الهادي- وصى- أحمد- خاتم لنبيا- تحت اقدامك- جنة- نصف الدين- الرحمن- ربيتك- بحلال- نشكر- المولى- سهّل- سعايا- يغفر- ذنبو- الدنيا- رب- فرّج- جوار- سيد الأنبيا- ورحم- يوم الميعادي.
توفيق بلفاضل رحمه الله تعالى	النور- الظلمة- الخير- الآجال- يرحم- أجلو- كتابو- أمر- المولى – كفن- تراب- بَكَّانَا- الموت- حسابو- سبحان- المولى- عالم بيه- ربّي- صبّر- ارحم- الجنة- محرابو-
جزاير	سبحانك- خالق- العبادي- ترحمنا- يوم- نار- محمد- سيدي- نبي- تشفع- الشدّة- مكة- حجة- مسلم.
الصاحب	الجار- صاحب- الخير- ثمار- العبد- يرحم- الريح- العز- الصلاة- النبي- لنوار- محمد – العليل- تبرد- نارو.
خذلان	الصدقة- الفوقارا- يطعم- الله- الخير- لغتابة(المغتابين)- تفسير- الدم- خسارة- عدوك- تذبحلو- يموت- رزق-

عرّافة	الحساب- العذاب- الليل- حجاب- شراب- سحابة- جنان
يا نفسي	العزيز- رب الناس- خالق الكون- عيسى- الصلاة- شفيع- صلاة- الشيطان- الرجيم- الخناس- موسى- الطاغوت- ظلم فرعون- العاصي- أعوذ- أمارة- السوء- نجاسه- خبيث- الغتبة- الحسد- صحصح- الحق

ثانيا: الرمز:

الشعر سواء أكان فصيحا أم ملحونا يشكّل تجربة ذات طبيعة خاصة، تجنح نحو الإيغال والاستبطان والكشف، الشمولية والمغايرة واللاّتحدّد، الانفعال والكثافة والغموض، والتعقيد والتعدد واللاواقعية. واللّغة العادية بقواعدها العقلانية الصارمة تعجز عن ترجمة هذه التجربة، وصياغتها بشكل جمالي، ومن ثم تنزاح لغة الشعر عن المعيارية، وتخترق قواعدها الثابتة إلى استعمال أسلوب فني مشبع بالدلالات يعرف باللغة الرمزية.[55]

والرمز هو(أفضل طريقة للإفضاء بما لا يمكن التّعبير عنه، وهو معين لا ينضب للغموض والإيحاء، بل والتناقض كذلك).[56] والرمز(معناه الإيحاء، أي التّعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللّغة في دلالتها الوضعية).[57]

ويقسم رونيه ويليك وأوستن وارين الرمز إلى ثلاثة أنواع، هي:

1- الرمزية التراثية.

2- الرمزية الخاصة.

3- الرمزية الطبيعية.

والناظر في الشّعر الملحون المستغانمي، يجد الشعراء لجأوا إليه للتّعبير عن حاجاتهم النفسية والاجتماعية، والإعراب عن روح الانتماء إلى الوطن، ومن هؤلاء الشاعر باينين في قصيدته "جزاير حرفي" التي شكّلت في بنيتها الكلية رمز الجزائر، الوطن والأمة والتاريخ:[58]

---

[55]- إبراهيم رماني، الرمز في الشعر الحديث، ص31.
[56]- فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984، ص36.
[57]- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ط، ص398.
[58]- مخطوط قصيدة "جزاير حرفي" للشاعر باينين.

محبـــــوبة ولّي نحبها في لوصــاف سَكْنتْ ما بين عضـــايا وطرافي
ما طاق لها حْكيـــــم تايق لا عرّاف ولا طبيب ناجم يسمـــع وصـافي
ما هي حوريـــــــة نْسَبْها مَلَشْـــراف كابرة في معطن الذهب الصافي
وما هي غْزال برّي ساكن في لجراف مَتْحَصّن فَلوعر عايش متعافـــي

فكما هو واضح، فقد رمز الشاعر للجزائر بالمحبوبة التي سكنت جوانحه واستبدّت بجوارحه واحدا واحدا، وأنهكه عشقها، فأصابه الوهن والشحوب، ولم يستطع لسقمها عرّاف أو طبيب. فهي الحورية فائقة الجمال، ابنة الحسب والنسب والشرف التليد، وهي الغزال الشرود الحرون التيّاه في الأعالي الشامخات والأراضي الوعرة. وكلها رموز خلعها الشاعر على جمال الجزائر وحسنها في كل شبر من أرضها الطاهرة، وعراقتها في التاريخ، وشرفها المصون عبر الحقب والعصور. ويبدو من القصيدة أن ثمة تساوق وارتباط حيوي بين الرمز والتجربة التي يعايشها الشاعر، فالرمز بهذا الشكل يستحيل إلى وسيلة لتحقيق أعلى القيم في الشعر.

وإذا أخذنا بتقسيم رنيه ويليك وأوستن وارن للرمز، فإننا نجد للرموز التراثية حضورا في شعر باينين؛ وذلك باستعمال "القناع"، وهو(أحد أنماط الرمز، وطريقة متقدمة في توظيفه باعتبار أن الرمز يجمع بين الأبعاد الحسية والمجردة في ثناياه(...) فبمجرد أن يخلق الشاعر قناعا، فإنه يخلق رمزا يقوم على التفاعل بين أطراف تؤدي إلى معنى).[59] وقد تجلّى القناع في شعر باينين من خلال استدعائه للشخصيات الدينية: موسى عليه السلام وقصة نجاته من ظلم الطاغوت فرعون وجنوده، وقد وظفها الشاعر بشكل فني جمالي، ليقيم تجربة الواقع الإنساني، حيث جعل من هذه الحادثة رمزا لنجاة الإنسان من نفسه الأمارة بالسوء التي تعمل في كل آن وحين على إغراقه في المعاصي. وكذا شخصية المسيح عيسى عليه السلام وحادثة رفعه بجسده وروحه ومنزلته إلى السماء. ويبدو أن الشاعر باينين استخدم الرموز التراثية كبدائل تعويضية عن واقعه الصعب المرير، لينقل تلك التجارب إلى معترك الحياة الحاضرة، ويحولها

[59]- محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب، نازك والبياتي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص95.

إلى تجارب معاصرة ورموز متحركة ناطقة فاعلة متفاعلة مع ما يعانيه الشاعر والإنسان بعامة.[60]

باسمك يالعزيـــز، يارب النـــاس يا خالق لكون، يا رافع عيسى
سهلي مقامـــــي، نعرف نواســـي انفصل فستان، لجمل عروسة
وانت يا نفســـي، يا سبَّت باســـي ترجاك اليوم، تحضري جلسة
غرّيـــتي بيا، وبقيـــت نقـــاسـي وريتي لي الطريق المنحـوسة
اطريق الشيطان الرجيـــم الخناسي نجينا يا ربّ، يا منجّي موسى
من ظلم الطاغوت فرعون العاصي قتّال الصبيا، رجال ونســـــا

وأمّا الرموز الخاصة، فتشكّل فضاء واسعا للفعل الشعري(يتمثل فيه الشاعر تجربته بشكل أشد خصوصية وأصالة)،[61] وهي تختلف من شاعر إلى آخر. والناظر في شعر باينين يجدها تحضر حينا وتغيب حينا آخر. ولعلّ أكثر القصائد احتفاء بهذا النمط، "جزاير"، "جزاير حرفي"، "نفسي"، "المعلم"... فكل كلمة في هذه النصوص هي بمثابة إشارة حرة ذات أبعاد ترميزية، تؤلّف بمعية كلمات أخرى حقلا دلاليا جامعا. فالبحر رمز للجود، كما أنه رمز للمغامرة وخوض الأهوال والنار رمز للثورة والتغيير، والليل للهموم والأحزان، والشجر والورد للخصب والحياة.

وأمّا الرموز الطبيعية، فتقترن بعناصر الطبيعة، وتعتمد في بنائها على التجريد والتجسيد. ولعلّ الشاعر في تعامله(مع عناصر الطبيعة إنما يرتفع باللفظة الدّالة على العنصر الطبيعي(...)من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظ بمدلولات خاصة وجديدة).[62] فيسقط على هذه الرموز ذاته، ويصل الإسقاط أحيانا إلى مرتبة المعادل الموضوعي.[63] وهذا ما نتلمسه في قصيدة "جزاير"، فهي تعجّ

[60]- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، 2006، مصر، ص147.
[61]- إبراهيم رماني، الرمز في الشعر الحديث، ص37.
[62]- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، ط3، بيروت 1981، ص219.
[63]- نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، الجزائر، ص82.

بالرموز الطبيعية:(وردة، شجرة، قمرة، روضة، نخلة، واحة، بحر، صحرى)، وكلّها ترمز إلى الوطن (الجزائر).

فتارة تستحيل أما رؤوما تحنو على أبنائها:

جزاير أمْنَا زِيدينَا تشرافْ شَرْفِي لاّلاّ مولاتي بشرافي

وتارة أخرى فتاة عذراء تيمت عاشقها، وهامت به في كل واد، وملكت فيه كلّ جارح:

زينة البهى في مقامي كي تنشاف وفي منامي حاضرة بالقدر الكافي

يالمـــــالكة جودي روفـــــي بحسَـــانَكْ وكْـــلاَمْ ظريـــف

والحقّ أن كل لفظة من الألفاظ السالفة الذكر تحمل دلالة رمزية تعبّر عن بنية فكرية، فالنخلة على سبيل المثال، ترمز إلى الهوية والتجذر في المكان والعتاقة في التاريخ، والبحر يرمز إلى الأمل والرجاء والكرم:

كالموجة جابها بحر الهادي في برك قاصدة شط النجدة

والصحراء تحمل رمز الأم الحانية الصبورة، تصبر على أعباء أولادها من المهد إلى اللحد، لتسلك بهم إلى برّ النجاة وتنجيهم من صروف الدهر وحدثانه:

يا نخلة واقعة عند مجادي في واحة مزينة صحرى جردة

ثالثا: التناص:

لقد أكّد الفكر النقدي المعاصر أن لا نص يكتفي بذاته بل يحتاج إلى تعضيد معرفي يبلور مداركه، ويغني بنياته ويجعلها تكتنز بدلالات ومعاني تعبّر عن رؤى صاحبه، وتصل إلى الغرض المقصود. فتدوروف رأى بأنه(لا يمكن إنتاج الشعر إلاّ انطلاقا من قصائد أخرى؛ ولا إنتاج الروايات إلاّ انطلاقا من روايات أخرى).[64] ورأى رولان بارت بأن النص(فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة وتتعارض(...) ونسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة).[65] وأكّد بيير دوبيازي بأن(كل نص يقع عند ملتقى عدد من النصوص،

[64]- تزفيتان تودوروف، نقد النقد، تر: سامي سويدان، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986، ص94.
[65] - رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، 1993، المغرب، ص85.

وهو بإزائها في نفس الوقت قراءة ثانية، وإبراز وتكثيف، ونقل وتعميق).[66] وقد تحول النص مع الكشوف النقدية الحداثية وما بعدها من بنية مغلقة منكفئة على ذاتها عند البنيويين إلى(امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى).[67]

وخلاصة ما نقول، أن التناص من المصطلحات النقدية المعاصرة التي أوجدها نقدة ما بعد البنيوية، وهو يرتكز على خلفيات أدبية وفلسفية. وقد تعددت تسمياته وتعريفاته ومصادره، ذلك أن المنظرين له لم يصوغوا له تعريفا جامعا مانعا متفقا عليه، ومن ثم تكوثرت تعريفاته وآلياته وأنواعه ومستوياته في الكتابات النقدية الغربية والعربية على حد سواء.

إن نصوص الشعر الملحون شأنها شأن نصوص الشعر الفصيح تتناسخ وتتعايش وتتعالق، فكل نص جديد يحتضن نصوصا سابقة عليه تتعدد وتتباين في مصادرها وفلسفاتها ومقولاتها. وهذه النصوص المتعالقة والمتشابكة تعطي دائما أفضل ما لديها من أجل أن يعيش النص اللاحق بمعية النصوص السابقة.[68] وإذا تعلّق الأمر بشعر باينين، فإنا نجده يتحدد في أنواع ثلاثة، هي:

١- التناص الديني:

ويشمل: الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

أ- الاقتباس مع القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم بوصفه مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية من أهم النصوص التي استأثرت بعناية الشاعر باينين. كما قوله في قصيدة "نبكي حالي":

الدنيـــــا فانيـــة، آيل للـــــزوال تعطي بعض سنين، وسنين عجافة

وانظر لقارون، كم اكسب مالمال فرعون المغرور، بالشرك تكلفى

أين هم اليوم، صاروا تحت رمال وما سلكو ملويل، غير الشـــــرافة

---

[66]- بير دوبيازي، نظرية التناصية، تر: عبد الرحيم الرحوتي، مجلة علامات في النقد، ج21، مج6، سبتمبر 1996، 309-310.

[67]- إبراهيم رماني، النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة، الرباط، ع49، 1988، ص53.

[68]- محمد صابر عبيد، تجلّي الخطاب النقدي، من النظرية إلى الممارسة، ص150.

فقد استحضر الشاعر في البيت الأول قوله تعالى:(**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**).[69] مبينا زوال الدنيا وفنائها، وصيرورة كل شيء إلى خراب ويباب، ولذلك فعلى الإنسان أن لا يغتر بملذاتها وشهواتها، حتى لا تهلكه كما أهلكت الذين قبله.

وأمّا في البيت الثاني فاستحضر قوله عز وجلّ:(**وقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ أرسلنا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**).[70] وهنا يستذكر الشاعر قصص تلك الطغمة التي ادّعت الربوبية من دون الله، واستكبرت على أنعمه، فأهلك الله قارون - حينما جار على قوم موسى - بالخسف به وبداره، كما قضى على فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر.

على أننا نجده في قوله:

يا عاقل لا تطيع نفسك والحثال لا تتبع هواك وتوقع في حـافة

يقتبس من قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا).[71]

كما يقتبس من قوله تعالى:(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).[72]

ب- الحديث النبوي الشريف:

---

[69]- الرحمن/26- 27.

[70]- العنكبوت/39- 40.

[71]- النساء/135.

[72]- ص/26.

لقد أدرك باينين أهمية الحديث النبوي في جانبه الفني والفكري، فاستدعاه في نصوصه، ونهل من نبعه الشريف. ولعلّ الأمر يعود إلى إعجابه بشخصية رسولنا الكريم، وبرسالته السمحاء. يقول:

يا عاقل لا تطيع نفسك والحثال لا تتبع هواك وتوقع في حـافة

وهنا استحضر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أبي يعلى شدّاد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ**).[73] وفي ذات المعنى استحضر حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام:**(عن فَضَالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب).**[74] وفي قوله:

عند أهلك والجار، والناس العقال عاملهم اجميـع، بصفا والوفـا

فإنه يستدعي معنى الحديث النبوي الشريف:(**عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله:(خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره).**[75] ولعل أن يكون الشاعر هنا يدعونا إلى الحرص على المعاملة الحسنة للأهل والجيران وأصحاب الحكمة.

وثمة تناصات عديدة ومتنوعة في الخطاب الشعري الملحون لدى في مدونة الشاعر باينين الحاج، بإمكان القارئ المهتم بهذا الحقل أن يستنبطها ويعمل على تصنيفها والكشف عن مستوياتها.

[73]- رواه الترمذي. وقال: حديث حسن.
[74]- رواه الترمذي 1621 ورواه ابن ماجه 3934.
[75]- روى الإمام أحمد23958 وابن حبان4862 والطبراني في المعجم الكبير796.

خاتمـــــــــــــــة

من خلال مختارات شعر الملحون المستغانمي التي جمعناها، والنماذج التي عرضناها، والدراسة الأسلوبية التي طبقناها على شعر شاعر الملحون بمستغانم الحاج باينين، استنتجنا ما يأتي:

- تعتبر الثورة الجزائرية هي نقطة تلاقي أغلب شعراء الملحون المستغانمي، ذلك أن الشعر الملحون واكب أطوار الثورة وسجا انتصاراتها، ونوّه بالتضحيات الجسام لأبنائها.

- موضوع الوطن والروح الوطنية يكاد يكون القاسم المشترك بين شعراء الملحون بمستغانم.

- الشعر الملحون المستغانمي كغيره من أشعار مناطقنا الجزائرية يصور المجتمع، عاداته وتقاليده، ويحرص على نشر الخير والحق والعلم والأخلاق.

- شاعر الملحون المستغانمي يعبر عن قضايا البيئة المحلية التي يرتبط بها ويعبر عن مشاكلها يعيش آلامها ويسعد بتحقق آمالها، لأنه فرد منها.

- الشعر الملحون المستغانمي هو صورة من صور التقليد للشعر العربي الفصيح في كل الأغراض مع الاختلاف في أسلوب التعبير.

- يهتم الشعر الملحون المستغانمي بالطبيعة، فقد اتخذ من مظاهرها رموزا طبيعية للتعبير عما يشعر به، ويجيش بخاطره.

- المرأة من الموضوعات التي تناولها شاعر الملحون المستغانمي وأشاد بمنزلتها الاجتماعية.

- تتميز القصيدة الشعرية الملحونة بمستغانم بأساليب فنية متنوعة ومتباينة.

- طغيان الرمز على أشعار الملحون المستغانمي، يبيّن مدى ثراء معجم شعرائها اللغوي، وطاقاتهم التخيلية وعمق تجاربهم.

- لغة شعراء الملحون بمستغانم رفيعة تقترب في غالب الأحيان من اللغة العربية الفصيحة، وهذا يوضح الوعي الثقافي والمستوى المعرفي الذي يحوزه شعراؤها.

- يعتبر التناص من الأساليب الفنية التي تعامل معها شاعر الملحون المستغانمي، باقتباسه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مما يكسب القصيدة أبعادا جمالية.

ونشير في الأخير إلى أن هذه الدراسة تعتبر بمثابة نافذة لبحوث أخرى تميط اللثام عن هذا التراث الشعري بتصنيفه ودراسته، ونفض الغبار عنه حتى لا يضيع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الحديث النبوي الشريف.

أولا: المصادر:

1- مدونة قصائد الشعر الملحون المستغانمي(المخطوطة)، (للشعراء: بن عبد القادر التواتي، شهلال خالد حاج باينين، عبد القادر عرابي).

2- إبراهيم مصطفى وآخرون, المعجم الوسيط, ج1, المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر, اسطنبول تركيا، ط2، 1972.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر, بيروت لبنان, ط1, 1994.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي, معجم العين, تح: عبد الحميد الهنداوي, ج4, الكتب العلمية, بيروت، لبنان، د.ت.

5- بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

ثانيا: المراجع العربية:

1- إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، ط3، بيروت 1981.

2- بورايو عبد الحميد, الأدب الشعبي الجزائري, دار القصبة للنشر, الجزائر, د. ط, 2007.

3- بورايو عبد الحميد، في الثقافة الشعبية الجزائرية(التاريخ والقضايا والتجليات), دار فيسيرا, (د. ط), 2009.

4- بن الشيخ التلي, منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1999.

5- الحسيني راشد، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004.

6- دحو العربي، مقاربات في الشعر العربي في الجزائر, موفم للنشر, الجزائر العاصمة, الجزائر, 2007.

7- زايد علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، 2006، مصر.

8- سراج الدين محمد، الحكمة في الشعر العربي, دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت.

9- سليمان أماني، الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2002.

7- سنجاق نبيلة، الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة, الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين, 2009.

8- صابر عبيد محمد، تجلّي الخطاب النقدي، من النظرية إلى الممارسة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

9- الصائغ عبد الإله، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب, دار الفكر, دمشق, ط1، 1999.

10- علي كندي محمد، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب، نازك والبياتي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

11- عناد عبد المجيد, عناد علي، من روائع الشاعر الشعبي, دار الثقافة, ط1، واد سوف، 2008.

12- فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984.

13- فزازي أمينة، مناهج دراسات الأدب الشعبي, دار الكتاب الحديث, القاهرة، مصر, ط1, 2010.

14- قذيفة عبد الكريم، أنطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة، الشعراء الرواد، دار الأخبار للصحافة, ط2 القبة الجزائر العاصمة,2007.

15- نشاوي نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، الجزائر.

16- مختار عمر أحمد، علم الدلالة، دار عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998.

17- هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ت.

18- هلال محمد غنيمي، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

ثالثا: المراجع المترجمة:

1- تودوروف تزفيتان، نقد النقد، تر: سامي سويدان، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986.

2- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، 1993، المغرب.

رابعا: الرسائل والأطاريح:

يوسف العارفي, الشعر الشعبي في منطقة صور الغزلان, دراسة إثنوغرافية، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة تيزوزو، 2012.

خامسا: الدوريات:

1- إبراهيم رماني، النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة، الرباط، ع49، 1988.

2- إبراهيم رماني، الرمز في الشعر الحديث، مجلة اللغة والأدب، مج2، ع2، جامعة الجزائر، 1993.

3- بير دوبيازي، نظرية التناصية، تر: عبد الرحيم الرحوتي، مجلة علامات في النقد، ج21، مج6، سبتمبر 1996.

[1] - ثامر عبد اللطيف، البعد السردي في الشعر الشعبي عند أولاد نايل، مجلة فكر ولغة، ع2، 2008، جامعة مستغانم.

[1]- علي عبد الحسين جبير، تبدل دلالات الرمز الواحد في شعر المتنبي "الشمس أنموذجا"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج1، ع58، النجف، العراق، 2020.

[1]- العتيبي خلف، السحاب.. مُثير الحنين، ومُلهم الشعراء، ومصدر الأشواق، جريدة الرياض، أغسطس 2016.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ- ب
الفصل الأول: الشعر الملحون في مستغانم- الشعراء وأغراضهم الشعرية	03
مفهوم الشعر الملحون(لغة واصطلاحا)	04
نشأة الشعر الملحون	05
السير الذاتية لشعراء الملحون في منطقة مستغانم	06
أغراض الشعر الملحون في مستغانم ونماذجها الشعرية	11
شعر الثورة	11
الشعر الاجتماعي	26
شعر الفخر	43
شعر الحكمة	46
الفصل الثاني: مقاربة أسلوبية لشعر حاج باينين أنموذجا	61
المعجم الشعري	62
الحقول الدلالية	62
حقل الإنسان وما يتعلق به	62
حقل الطبيعة	64
الحقل الديني	68
الرمز	70
التناص	73
التناص الديني	73
خاتمة	77
المصادر والمراجع	79
فهرس الموضوعات	83
الملخص	84

الملخص:

يعدّ الشعر الملحون الجزائري من أهم فنون التراث الشعبي, يصوّر واقع الأمم، وينقل يوميات أفرادها، ينظمه شعراء من عام القوم، يعيشون آلام شعوبهم وآمالها. يصدر عن نفس صادقة، وينبع من عاطفة جياشة. ولذلك حظي باهتمام الباحثين الأكاديميين، كما عني به عامة الدارسين، شأنه في ذلك شأن الشعر الفصيح الرسمي. وبحثنا يتناول الشعر الملحون في منطقة مستغانم، من خلال بعض النماذج الشعرية التي تمكّنا من جمعها وجمع سير أصحابها. كما يتناول البحث مقاربة أسلوبية جمالية لشعر أحد شعراء الملحون في مستغانم.

الكلمات المفتاحية: التراث- الشعر – الملحون- مستغانم- مقاربة- أسلوبية- حاج باينين.

Abstract:

Algerian recitation poetry is one of the most important arts of folk heritage, depicting the reality of nations, and transmitting the diaries of its members, organized by poets from the people, living the pain and hopes of their peoples. It comes from an honest feeling, and it stems from strong emotion. And so it got the attention of the academic researchers, as it was considered by the general scholars, like the official eloquent poetry. Our research addresses recitation poetry in the Mostaganem region, through some poetry models that we were able to collect. The research also addresses an aesthetic stylistic approach to the poetry of a recitation poet in Mostaganem.

Keywords: heritage.. poetry.. recitation.. Mostaganem...Approach... Stylistic... Hadj Bainin